الأدلة النقليّة والحسيّة

على إمكان الصعود إلى الكواكب

وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض

تأليف

عبد العزيز بن باز

يطلب من الناشر

مكتبة الرياض الحديثة

البطحاء - الرياض

الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ،

أما بعد فقد تكرر السؤال عما يدعيه بعض رواد الفضاء من الوصول إلى سطح القمر وعما يحاولونه من الوصول إلى غيره من الكواكب ، ولكثرة التساؤل والخوض في ذلك رأيت أن أكتب كلمة في الموضوع تنير السبيل ، وترشد إلى الحق في هذا الباب – إن شاء الله – فأقول : إن الله سبحانه وتعالى حرّم على عباده القول بغير علم وحذّرهم من ذلك في كتابه المبين، فقال عز وجل : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغيرالحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وقال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وأخبر سبحانه أن الشيطان يأمر بالقول عليه بغير علم فقال تعالى : (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وأمر سبحانه عباده المؤمنين بالتثبت في اخبار الفاسقين،

فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فالواجب على المسلمين عموماً ، وعلى طلبة العلم خصوصاً الحذر من القول على الله بغير علم فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول هذا حلال ، وهذا حرام ، أو هذا جائز ، وهذا ممتنع إلاّ بحجة يحسن الاعتماد عليها ، وإلاّ فليسعه ما وسع أهل العلم قبله وهو الإمساك عن الخوض فيما لا يعلم وأن يقول : الله أعلم أو لا أدري ، وما أحسن قول الملائكة عليهم السلام لربهم عز وجل : (سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) وكان أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورضي الله عنهم إذا سألهم الرسول — صلى الله عليه وسلم — عن شيء لا يعلمونه قالوا : (الله ورسوله أعلم) وما ذاك إلاّ لكمال علمهم وإيمانهم وتعظيمهم لله عز وجل ، وبعدهم عن التكلف ، ومن هذا الباب وجوب التثبت فيما يقوله الكفار ، والفساق وغيرهم عن الكواكب وخواصها ، وإمكان الوصول إليها وما يلتحق بذلك.فالواجب على المسلمين في هذا الباب كغيره من الأبواب التثبت وعدم المبادرة بالتصديق أو التكذيب إلاّ بعد حصول المعلومات الكافية التي يستطيع المسلم أن يعتمد عليها ويطمئن إليها في التصديق أو التكذيب ، وهذا هو معنى قوله سبحانه في الآية السابقة من سورة الحجرات : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)الآية. والتبين هو التثبت حتى توجد معلومات أو قرائن تشهد لخبر الفاسق ونحوه بما يصدقه أو يكذبه ولم يقل سبحانه : (إن جاءكم فاسق بنبأ فردوا خبره) بل قال (فتبينوا) لأن الفاسق سواء كان كافراً أو مسلماً عاصياً قد يصدق في خبره فوجب التثبت في أمره ، وقد أنكر الله سبحانه على الكفار تكذيبهم بالقرآن بغير علم فقال جلّ وعلا (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم — رحمه الله — في قصيدته الكافية الشافية :

إن البدار بردّ شيء لم تحط   علماً به سبب إلى الحرمان

وأعظم من ذلك وأخطر الإقدام على التكفير أو التفسيق بغير حجة يعـ عليها من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ولا شك أن هذ من الجرأة على الله ، وعلى دينه ومن القول عليه بغير علم . وهو خلاف طريقة أهل العلم والإيمان من السلف الصالح — رضي الله عنهم — وجعلنا من أتباعهم باحسان ، وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) وقال ﷺ : (من دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلاّ حار عليه) أي رجع عليه ما قال.وهذا وعيد شديد يوجب الحذر من التكفير والتفسيق إلاّ عن علم وبصيرة . كما أن ذلك وما ورد في معناه يوجب الحذر من ورطات اللسان والحرص على حفظه إلاّ من الخير — إذا علم هذا — .

فلنرجع إلى موضوع البحث المقصود فنقول قد تأملنا ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات المشتملة على ذكر الشمس والقمر والكواكب فلم نجد فيها ما يدل دلالة صريحة على عدم إمكان الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب ، وهكذا السنة المطهرة لم نجد فيها ما يدل على عدم إمكان ذلك وقصارى ما يتعلق به من أنكر ذلك أو كفّر من قاله ما ذكره الله في كتابه الكريم في سورة الحجر حيث قال سبحانه : (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) وقال تعالى في سورة الفرقان : (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا) وقال في سورة الصافات : (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وقال سبحانه في سورة المُلك : (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال في سورة نوح (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً)

وظنوا أن ما ذكره الله في هذه الآيات الكريمات ، وما جاء في معناها يدلّ على أن الكواكب في داخل السماء أو ملصقة بها فكيف يمكن الوصول إلى سطحها ، وتعلقوا أيضاً بما قاله بعض علماء الفلك من أن القمر في السماء الدنيا وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشترى في السادسة ، وزحل في السابعة . وقد نقل ذلك كثير من المفسرين وسكتوا . والجواب أن يقال ليس في الآيات المذكورات ما يدلّ على أن الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب في داخل السماء ولا أنها ملصقة بها ، وإنما تدلّ الآيات على أن هذه الكواكب في السماء وأنها زينة لها . ولفظ السماء يطلق في اللغة العربية على كل ما علا وارتفع كما في قوله سبحانه : (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير).قال جماعة من المفسرين في هاتين الآيتين:إن (في) للظرفية،وأن السماء المراد بها العلو ،واحتجوا بذلك على أن الله سبحانه في جهة العلو فوق العرش،وما ذاك إلاّ لأن اطلاق السماء على العلو أمر معروف في اللغة العربية . وقال آخرون من أهل التفسير إن (في) هنا بمعنى على وأن المراد بالسماء هنا السماء المبنية، كما قال سبحانه (فسيحوا في الأرض) أي على الأرض ، وعلى هذا يكون المعنى أن الله سبحانه فوق السماء فيوافق ذلك بقية الآيات الدالة على أنه سبحانه فوق العرش وأنه استوى عليه استواء يليق بجلاله عز وجل ولا يشابهه فيه استواء خلقه كما قال عز وجل: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).
وقال سبحانه : (ولم يكن له كفواً أحد) وقال تعالى : (فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) ومن أنكر هذا المعنى ووصف الله سبحانه وتعالى بخلافه فقد خالف الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة الدالة على علو الله سبحانه واستوائه على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل كما خالف إجماع سلف الأمة ، ومن هذا الباب قوله سبحانه في سورة البقرة : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم

والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون). ذكر جماعة من المفسرين أن المراد بقوله سبحانه في هذه الآية : (وأنزل من السماء ماءً) أن المراد بالسماء هنا هو السحاب سمي بذلك لعلوه وارتفاعه فوق الناس ، ومن هذا الباب أيضاً قوله عز وجل في سورة الحج : (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء) الآية.قال المفسرون:معناه فليمدد بسبب إلى ما فوقه من سقف ونحوه،فسماه سماء لعلوه بالنسبة إلى من تحته ، ومن هذا الباب قوله تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) الآية.فقوله هنا في السماء أي في العلو ، وقال صاحب القاموس سما سمواً إرتفع،وبه أعلاه كأسماه،إلى أن قال والسماء معروفة تؤنث وتذكر وسقف كل شيء . انتهى . والأدلة في هذا الباب من كلام الله سبحانه وكلام رسوله محمد ﷺ وكلام المفسرين ، وأئمة اللغة على إطلاق لفظ السماء على الشيء المرتفع كثيرة ، إذا عرف هذا فيحتمل أن يكون معنى الآيات أن الله سبحانه جعل هذه الكواكب في مدار بين السماء والأرض وسماه سماء لعلوه ، وليس فيما علمنا من الأدلة ما يمنع ذلك ، وقد ذكر الله سبحانه أن الشمس والقمر يجريان في فلك في آيتين من كتابه الكريم وهما قوله عز وجل في سورة الأنبياء : (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقوله سبحانه في سورة ياسين : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) ولو كانا ملصقين بالسماء لم يوصفا بالسبح لأن السبح هو الجري في الماء ونحوه .
وقد ذكر ابن جرير — رحمه الله — في تفسيره المشهور أن الفلك في لغة العرب هو الشيء الدائر وذكر في معناه عن السلف عدّة أقوال ، ثم قال ما نصه : والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل : (وكل في فلك يسبحون) وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحا ، وكما

ذكر عن الحسن كطاحونة الرحا ، وجائز أن يكون موجاً مكفوفاً ، وأن يكون قطب السماء ، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر فجمعه أفلاك . ونقل – رحمه الله – عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال ما نصه : الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم ، والشمس والقمر ، وقرأ : (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا) وقال تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض – انتهى .

وقد نقل الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في التفسير كلام ابن زيد هذا وأنكره ولا وجه لإنكاره عند التأمل لعدم الدليل على نكارته ، وقال النسفي في تفسيره ما نصه : – والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم – إنتهى .

وقال الألوسي في تفسيره (روح المعاني) ما نصه : « وقال أكثر المفسرين هو موج مكفوف تحت السماء يجري فيه الشمس والقمر » إنتهى . وعلى هذا القول في تفسير الفلك والآيات المتقدمة آنفاً لا يبقى إشكال في أن الوصول إلى سطح القمر أو غيره من الكواكب لا يخالف الأدلة السمعية ، ولا يلزم منه قدح فيما دلّ عليه القرآن من كون الشمس ، والقمر في السماء ، ومن زعم أن المراد بالأفلاك السموات المبنية فليس لقوله حجة يعتمد عليها فيما نعلم بل ظاهر الأدلة النقلية وغيرها يدلّ على أن السموات السبع غير الأفلاك ، ويحتمل أنه أراد سبحانه بالسماء في الآيات المتقدمة السماء الدنيا كما هو ظاهر في آية الحجر وهي قوله سبحانه : (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين) ولم يرد سبحانه أن البروج في داخلها وإنما أراد سبحانه أنها بقربها وتنسب إليها كما يقال في لغة العرب فلان مقيم في المدينة أو في مكة وإنما هو في ضواحيها وما حولها ، وأما وصفه سبحانه للكواكب بأنها زينة للسماء فلا يلزم منه أن تكون ملصقة بها ولا دليل على ذلك بل يصح

أن تسمى زينة لها وإن كانت منفصلة عنها وبينها وبينها فضاء كما يزيّن الإنسان سقفه بالقماش والثريات الكهربائية ونحو ذلك من غير ضرورة إلى إلصاق ذلك به ، ومع هذا يقال في اللغة العربية فلان زيّن سقف بيته . وإن كان بين الزينة والسقف فضاء،وأما قوله سبحانه في سورة نوح: (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً)فليس في الأدلة ما يدل على أن معناه أن الشمس والقمر في داخل السموات وإنما معناه عند الأكثر أن نورهما في السموات لا أجرامهما.فأجرامهما خارج السموات ونورهما في السموات والأرض . وقد روى ابن جرير – رحمه الله – عند هذه الآية عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – ما يدل على هذا المعنى حيث قال في تفسيره : حدثنا عبد الأعلى قال حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أنه قال : إن الشمس والقمر وجوههما قبل السموات ، وأقفيتهما قبل الأرض . إنتهى . وفي سنده إنقطاع لأن قتادة لم يدرك عبد الله بن عمرو . ولعلّ هذا إن صحّ عنه مما تلقاه عن بني إسرائيل وظاهر الآية يدلّ على أن نورهما في السماوات لا أجرامهما . وأما كون وجوههما إلى السموات وأقفيتهما إلى الأرض فموضع نظر ، والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك .

وأما قول من قال من أهل التفسير أن ذلك من باب إطلاق الكل على البعض لأن القمر في السماء الدنيا ، والشمس في الرابعة كما يقال : رأيت بني تميم وإنما رأى بعضهم فليس بجيد . ولا دليل عليه وليس هناك حجة يعتمد عليها فيما نعلم تدلّ على أن القمر في السماء الدنيا والشمس في الرابعة ، وأما قول من قال ذلك من علماء الفلك فليس بحجة يعتمد عليها لأن أقوالهم غالباً مبنية على التخمين والظن ، لا على قواعد شرعية وأسس قطعية فيجب التنبه لذلك ، ويدل على هذا المعنى ما قاله الحافظ ابن كثير – رحمه الله –

في تفسيره عند قوله سبحانه : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) الآية حيث قال ما نصه : – قوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات ، فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضاً فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة ، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه (فلك الثوابت) والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسي ، والفلك التاسع وهو الأطلس والأثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب إلى المشرق ، وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فإنها تسير من المغرب إلى المشرق وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرّة ، والشمس في كل سنة مرّة ، وزحل في كل ثلاثين سنة مرّة وذلك بحسب اتساع أفلاكها ، وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة ، هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها . إنتهى .

فقول الحافظ – رحمه الله – هنا على اختلاف بينهم .. الخ يدل على أن علماء الفلك غير متفقين على ما نقله عنهم آنفاً من كون القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة .. الخ وغير ذلك مما نقله عنهم ، ولو كانت لديهم أدلة قطعية على ما ذكروا لم يختلفوا ، ولو فرضنا أنهم اتفقوا على ما ذكر فاتفاقهم ليس بحجة لأنه غير معصوم ، وإنما الإجماع المعصوم هو إجماع علماء الإسلام الذين قد توافرت فيهم شروط الإجتهاد ، لقول النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة)الحديث. فإذا اجتمع علماء الإسلام على حكم إجتماعاً قطعياً

لا سكوتياً فإنهم بلا شك على حق لأن الطائفة المنصورة منهم ، وقد أخبر النبي ﷺ أنها لا تزال على الحق حتى يأتي أمر الله . وظاهر الأدلة السابقة ، وكلام الكثير من أهل العلم أو الأكثر كما حكاه النسفي ، والألوسي أن جميع الكواكب ومنها الشمس والقمر تحت السموات ، وليست في داخل شيء منها ، وبذلك يعلم أنه لا مانع من أن يكون هناك فضاء بين الكواكب والسماء الدنيا يمكن أن تسير فيه المركبات الفضائية ، ويمكن أن تنزل على سطح القمر أو غيره من الكواكب ، ولا يجوز أن يقال بامتناع ذلك إلاّ بدليل شرعي صريح يجب المصير إليه ، كما أنه لا يجوز أن يصدّق من قال إنه وصل إلى سطح القمر أو غيره من الكواكب إلاّ بأدلة علمية تدلّ على صدقه ، ولا شك أن الناس بالنسبة إلى معلوماتهم عن الفضاء ، ورواد الفضاء يتفاوتون ، فمن كان لديه معلومات قد اقتنع بها بواسطة المراصد أو غيرها دلته على صحة ما ادعاه رواد الفضاء الأمريكيون وغيرهم من وصولهم إلى سطح القمر فهو معذور في تصديقه ، ومن لم تتوافر لديه المعلومات الدالة على ذلك فالواجب عليه التوقف ، والتثبت حتى يثبت لديه ما يقتضي التصديق أو التكذيب عملا بالأدلة السالف ذكرها ، ومما يدل على إمكان الصعود إلى الكواكب قول الله سبحانه في سورة الجن فيما أخبر به عنهم : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا) فإذا كان الجن قد أمكنهم الصعود إلى السماء حتى لمسوها ، وقعدوا منها مقاعد فكيف يستحيل ذلك على الإنس في هذا العصر الذي تطور فيه العلم ، والإختراع حتى وصل إلى حد لا يخطر ببال أحد من الناس حتى مخترعيه قبل أن يخترعوه . أما السموات المبنية فهي محفوظة بأبوابها وحراسها فلن يدخلها شياطين الإنس والجن كما قال الله تعالى : (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون) وقال تعالى : (وحفظناها من كل شيطان رجيم) وثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ لما عرج به إلى السماء مع جبريل

لم يدخل السماء الدنيا وما بعدها إلاّ بإذن، فغيره من الخلق من باب أولى.

وأما قوله سبحانه في سورة الرحمن : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذو من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان) فليست واضحة الدلالة على إمكان الصعود إلى الكواكب لأن ظاهرها وما قبلها وما بعدها يدلّ على أن الله سبحانه أراد بذلك بيان عجز الثقلين عن النفوذ من أقطار السموات والأرض.وقد ذكر الإمام ابن جرير – رحمه الله – وغيره من علماء التفسير في تفسير هذه الآية الكريمة أقوالاً أحسنها قولان . أحدهما : أن المراد بذلك يوم القيامة وأن الله سبحانه أخبر فيها عن عجز الثقلين يوم القيامة عن الفرار من أهوالها.وقد قدّم ابن جرير هذا القول وذكر في الآية التي بعدها ما يدل على اختياره له . والقول الثاني أن المراد بذلك بيان عجز الثقلين عن الهروب من الموت لأنه لا سلطان لهم يمكنهم من الهروب من الموت كما أنه لا سلطان لهم على الهروب من أهوال يوم القيامة ، وعلى هذين القولين يكون المراد بالسلطان القوة ، ومما ذكرناه يتضح أنه لا حجة في الآية لمن قال إنها تدل على إمكان الصعود إلى الكواكب ، وأن المراد بالسلطان العلم . ويتضح أيضاً أن أقرب الأقوال فيها قول من قال إن المراد بذلك يوم القيامة ، أخبر الله سبحانه فيها أنه يقول ذلك للجن والإنس في ذلك اليوم تعجيزاً لهم وإخباراً أنهم في قبضة الله سبحانه ، وليس لهم مفرّ مما أراد بهم ، ولهذا قال بعدها : (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) فالمعنى – والله أعلم – أنكما لو حاولتما الفرار في ذلك اليوم لأرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران منهما ، أما في الدنيا فلا يمكن أحداً النفوذ من أقطار السموات المبنية لأنها محفوظة بحرسها ، وأبوابها كما تقدم ذكر ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم ..

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وامكان الصعود الى الكواكب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له الذي رفع السموات السبع بغير عماد ، وبسط الأرض لمصالح العباد وأرساها بالأوتاد ، وسخر الشمس ، والقمر يجريان دائبين إلى يوم التناد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه أشرف الرسل وأنصح العباد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأمجاد ، وعلى أتباعهم بإحسان إلى يوم الحشر ، والمعاد .

أما بعد فإنه لمّا شاع بين الكثير من الكتّاب ، والمدرسين ، والطلاب القول بأن الشمس ثابتة ، والأرض دائرة كتبت في ذلك مقالاً يتضمن إنكار هذا القول ، وبيان شناعته ، وذكر بعض الأدلة النقلية ، والحسّية على بطلانه ، وغلط قائله ، وأوضحت فيه أن القول بثبوت الشمس ، وعدم جريانها كفر ، وضلال ، ونشر هذا المقال في الصحف المحلية عام ١٣٨٥ هـ فكتب إليّ الأخ الشيخ محمد محمود الصواف رسالة مضمونها إستنكار هذا القول ، والميل إلى خلافه ، فأجبته جواباً موجزاً يتضمن بعض الأدلة على

صحة ما قلته ، وبطلان الشبه التي تعلق بها من قال بثبوت الشمس ، ودوران الأرض فلم يقتنع بذلك ونشر بعض مقاله في بعض الصحف المحلية ، فرددت عليه رداً مبسوطاً بعض البسط نشر في وقته ، والقصد من ذلك هو بيان ما نعتقده من الحق في هذه المسألة نصحاً للأمة ، ودفاعاً عن كتاب الله سبحانه ، وسنة رسوله ﷺ ، ونشراً لما لدينا من العلم في هذا المقام عملاً بقوله عز وجل : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) الآية ، وقوله عز وجل : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) ثم رأيت من المصلحة العامة أن أجمع ما كتبته في ذلك وأطبعه في غلاف واحد لينتفع بذلك من شاء من القراء وليعلم من اطلع على المقالين حقيقة الواقع ، ويطلع على بعض الأدلة النقلية ، والحسية الدالة على جريان الشمس جرياناً مطلقاً ، وسكون الأرض واستقرارها وبطلان قول من قال بخلاف ذلك ، وقد رأيت أن أثبت هنا المقالين المنشورين في الصحف المحلية من غير زيادة ، ولا نقص إلا أني زدت في المقال الثاني ذكر ما نقله العلامة عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في كتابه (الفرق بين الفرق من إجماع أهل السنة والجماعة على وقوف الأرض وسكونها) لعظم فائدته ، وإليك أيها القارىء نص المقالين .

والله ولي التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الشمس جارية ، والأرض ثابتة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ..

أمّا بعـــــد : فلقد شاع بين كثير من الكتاب، والمؤلفين، والمدرسين في هذا العصر أن الأرض تدور ، والشمس ثابتة ، وراج هذا على كثير من الناس ، وكثر السؤال عنه فرأيت أن من الواجب أن أكتب في هذا كلمة موجزة ترشد القارىء إلى أدلة بطلان هذا القول ومعرفة الحقّ في هذه المسألة فأقول قد دلّ القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وإجماع علماء الإسلام ، والواقع المشاهد على أن الشمس جارية في فلكها كما سخرها الله سبحانه وتعالى ، وأن الأرض ثابتة قارة قد بسطها الله لعباده وجعلها لهم فراشاً ومهداً وأرساها بالجبال لئلا تميد بهم ، قال الله تعالى : (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ، وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقال تعالى : (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبّر الأمر يفصّل الآيات

لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا) الآية ، وقال تعالى : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون) وقال تعالى : (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة)الآية . وقال تعالى : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ذلكم الله ربكم له الملك) . وقال عزّ وجلّ : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون).وقال تعالى : (يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) وقال تعالى : (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) الآية ، فهذه الآيات الكريمات دلائل قاطعة ، وبراهين ساطعة على أن الشمس جارية لا ثابتة وأن الأرض قارة ساكنة كما قد أرساها الله بالجبال الرواسي ومدّها لعباده وبسطها لهم وجعلها فراشاً ومهداً ليستقروا عليها ، وينتفعوا بما خلق الله فيها ، كما قال الله تعالى : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) وقال تعالى : (الله الذي جعل الأرض قراراً) وقال تعالى : (ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا) والآيات في هذا المعنى كثيرة . وقد نصّ علماء التفسير — رحمة الله عليهم — كابن جرير ، والبغوي ، وابن كثير ، والقرطبي ،وغيرهم على ما دلّت عليه الآيات المحكمات التي سبق ذكرها من جريان الشمس ، وسيرها في فلكها طالعة،وغاربة ، وسكون الأرض واستقرارها . وهكذا علماء الإسلام المعروفون المعتمد عليهم في هذا الباب وغيره قد صرحوا بما دلّ عليه القرآن الكريم من كون الشمس ، والقمر جاريين سائرين في فلكهما على التنظيم الذي نظمه الله لهما وأن الأرض قارة ساكنة قد أرساها الله بالجبال وجعلها أوتاداً لها فمن زعم خلاف ذلك وقال

إن الشمس ثابتة لا جارية فقد كذّب الله ، وكذّب كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وهو القائل سبحانه : (ومن أصدق من الله حديثاً) ، (ومن أصدق من الله قيلا) ، (قل أأنتم أعلم أم الله) ، (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) وكل من قال هذا القول فقد قال كفراً وضلالاً لأنه تكذيب لله ، وتكذيب للقرآن ، وتكذيب للرسول ﷺ لأنه عليه الصلاة والسلام قد صرّح في الأحاديث الصحيحة أن الشمس جارية ، وأنها إذا غربت تذهب وتسجد بين يدي ربها تحت العرش كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث أبي ذر — رضي الله عنه — وكلّ من كذّب الله سبحانه أو كذّب كتابه الكريم أو كذّب رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام فهو كافر ضال مضلّ يستتاب فإن تاب وإلاّ قتل كافراً مرتداً ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين كما نصّ على مثل هذا أهل العلم ، والإيمان في باب (حكم المرتدّ) وكما أن هذا القول الباطل مخالف للنصوص فهو مخالف للمشاهد المحسوس ، ومكابرة للمعقول والواقع ، فلم يزل الناس مسلمهم ، وكافرهم يشاهدون الشمس جارية طالعة وغاربة ، ويشاهدون الأرض قارة ثابتة ، ويشاهدون كل بلد وكل جبل في جهته لم يتغير من ذلك شيء ، ولو كانت الأرض تدور كما يزعمون لكانت البلدان ، والجبال ، والأشجار ، والأنهار ، والبحار لا قرار لها ، ولشاهد الناس البلدان المغربية في المشرق ، والمشرقية في المغرب ، ولتغيرت القبلة على الناس حتّى لا يقرّ لها قرار ، وبالجملة فهذا القول فاسد من وجوه كثيرة يطول تعدادها ، وأمّا من قال إن الأرض تدور ، والشمس جارية فقوله أسهل من قول من قال بثبوت الشمس ، ولكنه في نفس الأمر خطأ ظاهر مخالف للآيات المتقدمات ، وللمحسوس ، والواقع ، ووسيلة للقول بعدم جري الشمس فقد أوضح الله في الآيات المذكورات آنفاً أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد بهم،والميد هو الحركة ، والإضطراب ، والدوران ، كما نصّ على ذلك علماء التفسير ، وأئمة اللغة وفي تكفير قائله

نظر لأن الأدلة الواردة في ثبوت الأرض وسكونها ، وعدم دورانها ليست في الصراحة كالأدلة الواردة في جري الشمس ، وعدم سكونها . ولأن القائلين بدوران الأرض قد أوردوا شبهات توجب التوقف عن كفر من قال بذلك ، وأمّا إنكار جريان الشمس فلا ريب في كفر قائله للأدلة الصريحة القطعية في ذلك ، ومن الشبه التي أوردها بعض من قال بدوران الأرض أنهم قالوا إن الميد الذي نفاه الله غير الدوران الذي أثبتناه ، فالميد شيء وهو الاضطراب وعدم الاستقرار ، والدوران شيء آخر وهو شيء خفي لا يحسّ به ، وهذا باطل ، وشبهة زائفة فقد نصّ أئمة التفسير واللغة على أن الميد يطلق على الاضطراب ، والحركة ، والدوران كما سيأتي ذلك فيما سننقله للقارىء من كلام علماء التفسير ، وأئمة اللغة ، وشبه بعضهم بقوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) وهذه أيضاً شبهة زائفة تنادي بجهل قائلها ، وقلّة بصيرته بكتاب الله ، وعلى جهله بالواقع ، فإن هذه الآية الكريمة ذكرها الله في سياق الخبر عن يوم القيامة وذلك يعلم مما قبلها وهو قوله تعالى : (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله . وكل آتوه داخرين). ثم قال سبحانه : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب) يعني بذلك يوم ينفخ في الصور كما هو واضح من السياق ومن الآيات الأخرى مثل قوله تعالى : (ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) وقال تعالى : (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) وقال تعالى : (إن يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً وفتحت السماء فكانت أبواباً وسيرت الجبال فكانت سراباً) والآيات في هذا المعنى كثيرة، ثم هذا القول مخالف للواقع المشاهد المحسوس فالناس يشاهدون الجبال في محلها لم تسيّر فهذا جبل النور في مكة في محلّه، وهذا جبل أبي قبيس في محلّه ، وهذا أحد في المدينة في محلّه ، وهكذا جبال الدنيا كلها في محلها لم تسيّر، وكل من تصور هذا القول يعرف بطلانه ، وفساد

قول صاحبه وأنه بعيد عن استعمال عقله ، وفكره قد أعطى القياد لغيره كبهيمة الأنعام فنعوذ بالله من القول عليه بغير علم ، ونعوذ بالله من التقليد الأعمى الذي يردي من اعتنقه ، وينقله من ميزة العقلاء إلى خلق البهيمة العجماء ثم إن الله سبحانه لم يقل: (وترى الأرض تحسبها جامدة) وإنما قال : (وترى الجبال) فكيف يجوز لمسلم أن يحتج بالآية على غير ما دلت عليه ، ويترك الآيات الصريحات الدالة على بيان المراد من هذه الآية . والقاعدة المتبعة عند علماء التفسير أنه مهما أمكن تفسير الآيات بعضها ببعض فذلك واجب الاتباع ، ولا يجوز العدول عنه إلى غيره ، وها أنا أنقل لك أيها القارىء ، والطالب للحق ما تيسر من كلام أئمة اللغة ، وعلماء التفسير إتماماً للفائدة ، وإيضاحاً للحق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو حسبنا ونعم الوكيل . قال الجوهري – رحمه الله – في الصحاح ما نصّه : (ماد الشيء يميد ميداً تحرك ، ومادت الأغصان تمايلت ، وماد الرجل تبختر) وقال ابن منظور في اللسان: (ماد الشيء يميد ميداً تحرك ومال) وفي الحديث: ولمّا خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال: إلى أن قال: (وقال أبو العباس يعني ثعلب وهو من أئمة اللغة في قوله تعالى (أن تميد بكم) قال: تتحرك وتزلزل،وقال الفراء: سمعت العرب تقول:الميد الذين أصابهم الميد من الدوار) وقال في القاموس : (ماد يميد ميداً وميداناً تحرك وزاغ) .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير شيخ المفسرين – رحمه الله – في تفسيره المشهور عند قوله تعالى في سورة الرعد : (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) ما نصه : « يقول وأجرى الشمس والقمر في السماء فسخرهما فيها لمصالح خلقه وذللهما لمنافعهم ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين ، والحساب ، ويفصل بين الليل والنهار » وقوله :(كل يجري لأجل مسمى) يقول جلّ ثناؤه كل ذلك يجري في السماء لأجل مسمى أي لوقت معلوم وذلك إلى فناء الدنيا ، وقيام القيامة التي عندها تكور الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم إلى أن قال في قوله تعالى : (وهو الذي مدّ الأرض وجعل

فيها رواسي وأنهارا) ما نصّه: « يقول تعالى ذكره (والله الذي مدّ الأرض) فبسطها طولاً وعرضاً ، وقوله (وجعل فيها رواسي) يقول جلّ ثناؤه وجعل في الأرض جبالاً ثابتة ، والرواسي جمع راسية وهي الثابتة يقال منه: أرسيت الوتد في الأرض إذا أثبته كما قال الشاعر :

به خالدات ما يرمن وهـامـد   وأشعث أرسته الوليدة بالفهر

يعني أثبته ، وقال / رحمه الله تعالى / عند قوله تعالى في سورة النحل : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) ما نصه: « يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضاً أن ألقى في الأرض رواسي وهي جمع راسية وهي الثوابت في الأرض من الجبال ، وقوله أن تميد بكم يعني أن لا تميد بكم وذلك كقوله تعالى : (يبين الله لكم أن تضلوا) والمعنى أن لا تضلوا وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلاّ يميد خلقه الذي على ظهرها ، وقد كانت مائدة قبل أن ترسى بها ثم ذكر بعض الآثار في ذلك ثم قال والميد هو الاضطراب والتكفؤ يقال مادت السفينة تميد ميداً إذا تكفأت بأهلها ومالت ، ومنه الميد الذي يعتري راكب البحر وهو الدوار ». أه

وقال ابن جرير — رحمه الله — أيضاً عند قوله تعالى في سورة ياسين : (وكل في فلك يسبحون) يقول وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون ، وقال البغوي — رحمه الله — في تفسيره عند قوله تعالى في سورة النحل : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) ما نصه : أي لئلاّ تميد بكم أي تتحرك ، وتميل ، والميد هو الإضطراب ، والتكفؤ ، ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد ، وقال عند قوله تعالى في سورة الأنبياء : (كل في فلك يسبحون) يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء . أهـ المقصود ، وقال الحافظ ابن كثير / رحمه الله / في تفسيره عند قوله تعالى في سورة الأنبياء : (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالاً أرسى الأرض بها وقررها وثقلها لئلاّ تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك

فلا يحصل لهم قرار عليها ، إلى أن قال عند قوله سبحانه : (هو الذي خلق الليل والنهار) أي هذا في ظلامه وسكونه وهذا بضيائه ، وأنسه يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى ، وعكسه الآخر (والشمس والقمر) هذه لها نور يخصها وفلك بذاته ، وزمان على حدة ، وحركة ، وسير خاص ، وهذا بنور آخر ، وفلك آخر ، وسير آخر ، وتقدير آخر (كل في فلك يسبحون) أي يدورون ، وقال عند قوله تعالى في سورة ياسين : (وكل في فلك يسبحون) يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراساني . اهـ المقصود ، وقال القرطبي — رحمه الله — في تفسيره عند قول الله سبحانه في آية الرعد : (وسخر الشمس والقمر) أي ذللهما لمنافع خلقه ، ومصالح عباده ، وكل مخلوق مذلل للخالق (كل يجري لأجل مسمى) أي إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا ، وقيام الساعة التي عندها تكور الشمس ، ويخسف القمر ، وتنكدر النجوم ، وتنتثر الكواكب . وقال ابن عباس — رضي الله عنهما — أراد بالأجل درجاتهما ، ومنازلهما التي ينتهيان إليها لا يجاوزانها ، وقيل معنى الأجل المسمى أن القمر يقطع فلكه في شهر ، والشمس في سنة إلى أن قال في قوله سبحانه : (وهو الذي مدّ الأرض) ما نصّه : لمّا بين آيات السموات بين آيات الأرض أي بسط الأرض طولا وعرضاً (وجعل فيها رواسي) أي جبالاً ثوابت وأُحدها راسية لأن الأرض ترسو بها أي تثبت ، والإرساء الثبوت ، قال عنترة :

فصبرتُ عارفةً لذلك حرةً   ترسو إذا نفس الجبان تطلّع

إلى أن قال والذي عليه المسلمون ، وأهل الكتاب القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها وأن حركتها إنما تكون في العادة لزلزلة تصيبها . اهـ ، وقال القرطبي أيضاً في تفسير قوله تعالى في سورة الأنبياء : (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالاً ثوابت (أن تميد بهم) أي لئلاّ تميد بهم ولا تتحرك

ليتم القرار عليها . قاله الكوفيون . وقال البصريون : المعنى : كراهة أن تميد بهم ، والميد التحرك والدوران يقال ماد رأسه أي دار ، إلى أن قال عند قوله سبحانه : (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) ذكرهم نعمة أخرى حيث جعل لهم الليل ليسكنوا فيه ، والنهار ليتصرفوا فيه لمعايشهم . والشمس والقمر أي وجعل الشمس آية النهار ، والقمر آية الليل لتعلم الشهور ، والسنون ، والحساب كل يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار في فلك يسبحون أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء ، قال تعالى وهو أصدق القائلين : (والسابحات سبحاً) ويقال للفرس الذي يمدّ يده في الجري سابح ، وقال — رحمه الله — عند قوله تعالى في سورة ياسين : (وكل في فلك يسبحون) يعني الشمس ، والقمر ، والنجوم في فلك يسبحون أي يجرون وقيل يدورون ، ولم يقل تسبح لأنه وصفها بفعل من يعقل . انتهى المقصود ، وقال الشوكاني / رحمه الله / في تفسيره لقوله تعالى في سورة النحل : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) أي كراهة أن تميد بكم على ما قاله البصريون أو لئلاّ تميد بكم على ما قاله الكوفيون والميد الاضطراب يميناً وشمالا ماد الشيء يميد ميداً تحرك ، ومادت الأغصان تمايلت ، وماد الرجل تبختر ، وقال عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنبياء : (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) الميد التحرك ، والدوران أي لئلاّ تتحرك وتدور بهم أو كراهة ذلك . اه وهذا يوافق ما نقلناه آنفاً عن القرطبي — رحمه الله — وقال ابن القيّم / رحمه الله / في مفتاح دار السعادة (فصل) ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهداً ومستقراً للحيوان ، والنبات ، والامتعة ويتمكن الحيوان ، والناس من السعي عليها في مآربهم ، والجلوس لراحاتهم ، والنوم لهدوئهم : والتمكن من أعمالهم ولو كانت رجراجة متكفئة لم يستطيعوا على ظهرها قراراً ولا هدوءاً ، ولا ثبت لهم عليها بناء ، ولا أمكنهم عليها صناعة ، ولا تجارة ، ولا حراثة ، ولا مصلحة وكيف كانوا يتهنون بالعيش والأرض

ترتجّ من تحتهم ، واعتبر ذلك بما يصيبهم من الزلازل على قلة مكثها كيف تصيرهم إلى ترك منازلهم ، والهرب عنها ، وقد نبّه الله تعالى على ذلك بقوله : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) وقوله تعالى : (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا) وقوله : (الله الذي جعل لكم الأرض مهدا) وفي القراءة الأخرى (مهادا) وفي جامع الترمذي وغيره من حديث أنس ابن مالك — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ قال : (لمّا خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدّة الجبال ، فقالوا : يا رب هل من خلقك شيء أشدّ من الجبال ؟ قال : نعم الحديد ، قالوا : يا رب هل من خلقك شيء أشدّ من الحديد ؟ قال : نعم النار ، قالوا : يا رب فهل من خلقك شيء أشدّ من النار ؟ قال : نعم الريح ، قالوا : يا رب فهل من خلقك شيء أشدّ من الريح ؟ قال : نعم ابن آدم يتصدق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله) اه .

وقال ابن القيّم — رحمه الله — في مفتاح دار السعادة أيضاً (فصل) ثم تأمل الحكمة في طلوع الشمس على العالم كيف قدره العزيز العليم سبحانه فإنها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتقف فيه ولا تعدوه لما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات ، لأن ظلّ أحد جوانب كرة الأرض يحجبها عن الجانب الآخر ، وكان يكون الليل دائماً سرمداً على من لم تطلع عليهم ، والنهار سرمداً على من هي طالعة عليهم فيفسد هؤلاء ، وهؤلاء فاقتضت الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية أن قدّر طلوعها من أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من الأفق الغربي ثم لا تزال تنوّر وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فيختلف عندهم الليل ، والنهار فتنتظم مصالحهم . اه ولو ذهبنا ننقل ما قاله العلماء في هذا المقام لطال الكلام ، وخرج عن حدّ الإيجاز ، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه كفاية ، ومقنع لطالب الحقّ ، والله يهدي من يشاء إلى صراط

مستقيم ، ونسأله سبحانه أن يوفقنا ، وسائر المسلمين للتمسك بشريعته ، والتفقه فيها ، والإعراض عما خالفها ، وأن يرينا الحقّ حقاً ويمنّ علينا باتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويوفقنا لاجتنابه إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

تعقيب على ماكتبه الأخ الشيخ محمد محمود الصواف حول مقالي السابق في جري الشمس وثبوت الأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

أما بعد : فقد اطلعت على ما نشرته صحيفة الدعوة في أعدادها الصادرة في ١٠ – ٢ و ١٧ – ٢ و ٢٤ – ٢ – ١٣٨٦ هـ من الخطاب الموجه إليّ من فضيلة الأخ الشيخ محمد محمود الصوّاف المتضمن التعليق على مقالي المنشور في الصحف المحلية في رمضان ١٣٨٥ هـ فيما يتعلق بجريان الشمس ، وثبوت الأرض ، وقد أرسل إليّ فضيلته صورة الخطاب المشار إليه قبل نشره في الصحيفة فأجبته عنه جواباً مختصراً ، فلما نشر في الصحيفة المذكورة رأيت أنه لا بدّ من نشر الجواب وبسطه لإفادة القراء ، وإيضاح الأدلة ، وكشف الشبهة ، والهدف من ذلك أولا وآخراً هو بيان الحق بأدلته ، وبيان بطلان ما خالفه أداءاً لواجب النصيحة والتبليغ حسب ما ظهر لنا من الأدلة النقلية ، وغيرها ، والله وليّ التوفيق .

وقد تأملت الخطاب المذكور من أوله إلى آخره ، وعجبت كثيراً من خفاء أمر جريان الشمس جرياً مطلقاً ، وثبوت الأرض ، وسكونها على

مثل الأخ الصوّاف وتوقفه في ذلك مع ظهور أدلة ذلك ، وبراهينه ، ولا شك أن ذلك من آيات الله سبحانه الذي قسم بين العباد علومهم ، وأفهامهم ، وأخلاقهم ، كما قسم بينهم أرزاقهم ، وذلك من دلائل وحدانيته سبحانه وكمال حكمته ، وعلمه ، وقدرته لا إله غيره ولا ربّ سواه ، وقد رأيت أن أنقل للقراء من كلام الأخ الصوّاف ما يتعلق بموضوع البحث ثم أتعقب ذلك بما يبيّن الصواب ، ويزيل اللبس ، ويزيح الشبهة ، ويوضح الحق ببراهينه وأدلته من الكتاب ، والسنة ، وشواهد الحسّ والعيان منبعاً ذلك بنقول ذات أهمية من كلام علماء الإسلام ، وبعض أئمة اللغة العربية ، وبعض علماء الفلك ، والرياضة من المسلمين ، وغيرهم ثم اختتم ذلك بخلاصة موجزة لما تضمنه المقال إن شاء الله ، وأسأل الله أن يوفقني والأخ الصوّاف ، وسائر إخواننا المسلمين لإصابة الحق في القول ، والعمل وأن يعيذنا جميعاً من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، ومن القول عليه بغير علم إنه وليّ ذلك والقادر عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ..

قال الأخ الشيخ الصوّاف في صدر خطابه ما نصّه : لقد قرأت بإمعان مقالك القيّم (الشمس جارية ، والأرض ثابتة) ولمست الضجة الكبرى التي أحدثتها في الأوساط العلمية ، والمجامع الثقافية ، وقد كان حديث المجالس ، وحديث الغادين ، والرائحين ، وكانوا ما بين موافق ، ومخالف ولم تكن الغرابة من موضوع المقال ، فالخلاف في هذا الأمر قديم وحديث ولكن الضجة مما جاء في المقال من التكفير ، والتضليل ، والحكم بالردة ؛ حيث قلت — حفظك الله — بعد أن سقت بعض الأدلة (وهكذا علماء الإسلام المعروفون المعتمد عليهم في هذا الباب وغيره وقد صرّحوا بما دلّ عليه القرآن الكريم من كون الشمس ، والقمر جاريين في فلكهما على التنظيم الذي نظمه الله لهما ، وأن الأرض قارة ساكنة قد أرساها الله بالجبال ؛ وجعلها أوتاداً لها ؛ فمن زعم خلاف ذلك وقال إن الشمس ثابتة لا جارية

فقد كذب الله ، وكذب كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ثم قلت — حفظك الله — من قال هذا القول فقد قال كفراً ، وضلالا لأنه تكذيب لله ؛ وتكذيب للقرآن ، وتكذيب للرسول ﷺ.. الخ. من هنا يا أخي انطلقت الضجة حتى أحدثت لها عجاجة في الأفق العلمي ما كان أغنانا عنها خاصة وقد صدمت الفتوى الملايين من شباب ؛ ورجال يدينون بالإسلام في هذا العصر ، والذين أضحوا يعتقدون أن مثل هذه الأمور أصبحت من المسلمات العلمية التي لا يجادل فيها إثنان فكيف تنفى نفياً قاطعاً ؛ ويكفر من قال بها . ويحكم عليه بالردة . ويستباح دمه وماله ، نعم إن من كذّب الله ؛ ورسوله . وكذّب كتابه فهو كافر مرتد ومجرم أثيم كما قلتم في مقالكم ، وأنا أقول وعليه غضب الله ولعنته إلى يوم الدين ، ولكن هل من قال بحركة الأرض ودورانها حول الشمس بقدرة الله . وبثبوت الشمس حول محورها وحركتها حول نفسها بأمر الله ، هل يعتبر هذا مكذّباً لله ، ورسوله ؛ ومكذباً لكتاب الله حتى يحكم عليه بالردة والكفر ؟ إنني هنا أتوقف ، ولا أودّ أن أتعجل بمثل هذا الحكم في أمور أقل ما يقال فيها إنها ظنية وليست قطعية الدلالة ، والتوقف فيها بأن تفويض الأمر إلى الله العليّ القدير أسلم وأحكم . وأراكم قد تعجلتم في أمر كانت لكم فيه أناة ؛ وفي التأويل مندوحة يا أخي كما لا يخفى على شريف علمكم ، وفضلكم . انتهى .

والجواب عن ذلك أن يقال : إن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ ليبين للناس ما نزل إليهم من حلال ، وحرام ، وكفر ، وإيمان . وحق ؛ وباطل وقد بلغ عليه الصلاة والسلام وبيّن للناس ما نزل إليهم وأوضح لهم ما أحلّه الله وما حرّمه الله ، وبيّن لهم شرائع الإيمان وما يوجب الكفر ؛ والنفاق ، والواجب على من لديه علم أن يسير على منهاج الرسول ﷺ في بيان ما يلتبس على الناس في أمور دينهم ، وإيضاح الحق بدليله ، والردّ على من خالفه وكشف شبهته ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ،

ولما شاع بين الناس في المجالات الثقافية ، وغيرها القول بثبوت الشمس ودوران الأرض رأيت ان من الواجب على مثلي بيان الحق في هذه المسألة ببراهينه حتى يكون شبابنا على علم ، وبينة في هذا الأمر ولم أكفّر من قال بدوران الأرض . ولا من قال إن الشمس تجري حول نفسها ، وإنما صرحت بتكفير من قال إن الشمس ثابتة لا جارية هذا هو الموجود في المقال السابق ، وكفر من قال هذا القول ظاهر من كتاب الله ، ومن سنة رسوله ﷺ لأن الله سبحانه يقول : (والشمس تجري لمستقر لها) وفي قراءة ابن مسعود وجماعة (لا مستقر لها) ويقول سبحانه في غير موضع من كتابه : (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) فالذي يقول إن الشمس ثابتة لا جارية مكذّب لله تكذيباً صريحاً ومعترض عليه ، ومكذّب لما فطر الله عليه العباد ، ولما يشاهده الناس بأبصارهم فقد اجتمع في هذا الأمر العظيم النقل ، والفطرة ، وشاهد العيان فكيف لا يكون مثل هذا كافراً ، أما القول بأن الشمس تجري حول نفسها وهي ثابتة في محل واحد كالرحاء ، والمروحة في السقف فلم أتعرضه في المقال بالكلية لا بنفي ولا إثبات ، ولم أتعرض لكفر قائله ، وإن كنت أعتقد بطلانه وأنه خطأ ظاهر لكونه مخالفاً لظاهر الكتاب العزيز ، ولظاهر السنة الصحيحة ، ولمشاهد العيان ، ولكونه تقيداً لما أطلقه الله فالله سبحانه يقول (تجري) وهو يقول ثابتة إنما تجري حول نفسها ما أعظمه من خطأ ، وما أشده من مخالفة لما قاله الله ورسوله ، وأي حاجة إلى هذا القيد ، وما الداعي إليه والناس يشاهدون الشمس تأتي من المشرق وتذهب إلى المغرب على وجوه شتى بحسب اختلاف منازلها في الفصول الأربعة ، والجري المطلق في لغة العرب هو السير ، والانتقال من مكان إلى مكان كما قال الله تعالى : (وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال) الآية فجعل سبحانه الجري في مقابل الإرساء ، فالإرساء هو الثبوت والاستقرار ، والجري السير ، والتنقل ، فالأرض مرساة ثابتة ، والشمس جارية سائرة متنقلة من

منزلة إلى منزلة ، ومن برج إلى برج ، وقال تعالى : (فيهما عينان تجريان) وقال تعالى : (هو الذي يسيركم في البرّ والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان) الآية ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) أمّا جريان المروحة ، والرحاء وأشباههما فهو دوران خاص لا جري مطلق ، فيجب التنبه للفرق بين الأمرين.فالمروحة ثابتة في مكانها في الحقيقة ، والمشاهدة لا تزول عنه ، وهكذا الرحاء ولو كانت الشمس كالمروحة ، والرحاء في سيرهما لما اختلف الليل ، والنهار على الأقاليم ، والبلدان ولصار الليل ، والنهار على طريقة واحدة لا تختلف ، والله جلّ وعلا يقول : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) ويقول سبحانه : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) في آيات كثيرات يرشد فيها سبحانه العباد إلى أن اختلاف الليل ، والنهار من آياته العظيمة الدالة على ربوبيته ، ووحدانيته ، وكمال قدرته ولو كانت الشمس ثابتة كالرحاء لما كان هناك فصول أربعة ، ولكان الزمان في كل بلد واحداً لا يختلف ، والواقع بخلاف ذلك ، ولو كانت الشمس ثابتة أيضاً لم يخبر الله أن لها مشارق ، ومغارب بل كان مشرقها واحداً ، ومغربها واحداً ، والله سبحانه يقول في كتابه العظيم : (رب المشرقين ورب المغربين) ويقول عزّ وجلّ : (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) كما قال في الآية الأخرى : (رب المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو فاتخذه وكيلا) قال الحافظ ابن كثير — رحمه الله — عند تفسيره لقول الله تعالى في سورة الرحمن : (رب المشرقين ورب المغربين) ما نصّه : يعني مشرقي الصيف ، والشتاء ، ومغربي الصيف ، والشتاء ، وقال في الآية الأخرى : (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم ، وبروزها إلى الناس ، وقال في الآية الأخرى : (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وهذا المراد منه جنس

المشرق والمغرب . انتهى كلام ابن كثير – رحمه الله – وهكذا قال غيره من علماء التفسير عند تفسيرهم لهذه الآيات الثلاث كابن جرير ، والبغوي ، والقرطبي . وغيرهم فتأمل أيها القارىء هل يلتئم هذا المعنى مع القول بأن الشمس ثابتة كالرحاء . والمروحة ؛ من هنا يتضح لطالب العلم بطلان هذا القول . ويعلم علماً يقيناً أن الشمس جارية سائرة متنقلة في منازلها ، ومشارقها ، ومغاربها . وهذا هو الجريان المطلق الذي وصفها الله به في محكم كتابه . وعلى لسان رسوله محمد ﷺ كما في الصحيحين عن أبي ذرّ – رضي الله عنه – قال : كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال : يا أبا ذرّ أتدري أين تغرب الشمس قلت : الله ورسوله أعلم ، قال ﷺ : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها) الآية . وفي لفظ لهما أيضاً عن أبي ذرّ – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال له حين غربت الشمس : تدري أين تذهب ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها : إرجعي من حيث جئت . فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) وهذا لفظ البخاري ، وفي صحيح مسلم عن أبي ذرّ – رضي الله عنه – أيضاً أن النبي ﷺ قال يوماً : (أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخرّ ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها : إرتفعي إرجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخرّ ساجدة ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي إرجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها . ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها : إرتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها . فقال رسول الله ﷺ : (أتدرون متى ذلكم ذاك حين لا ينفع

نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) وفي الصحيحين عنه أيضاً قال سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها) قال : مستقرها تحت العرش . إنتهى

فتأمل أيها القارىء هذا الحديث ، وصراحته في جريان الشمس جرياناً يتضمن السير والتنقل ، والذهاب ، والمجيء في آفاق السماء ، ولو كانت ثابتة في موضع واحد لم يكن لها هذا الجريان ، ولم تخاطب بمثل هذا الخطاب ، وهذا كله يبيّن بطلان هذا القول ، وأن جريان الشمس ليس من جنس دوران الرحا الذي لا يتجاوز محلّه ، وهكذا وصف الله سبحانه وتعالى للشمس ، والقمر في آيتين من كتابه بأنهما يسبحان في فلكهما وذلك في سورة الأنبياء . وفي سورة ياسين يدلّ على أنهما يسيران ، ويتنقلان كالسابح في الماء ، ولو كانا ثابتين ، وإنما يجريان حول أنفسهما لم يوصفا بهذا الوصف العظيم الدال على عظمة خالقهما ، وكمال قدرته ، قال الله تعالى في سورة الأنبياء: (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقال في سورة ياسين : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) ثم الناس كلهم يشاهدون الشمس كل يوم تأتي من المشرق ثم لا تزال في سير ، وصعود حتى تتوسط السماء ثم لا تزال في سير ، وانخفاض حتى تغرب في مدارات مختلفة بحسب إختلاف المنازل ، ويعلمون ذلك علماً قطعياً بناءاً على مشاهدتهم وذلك مطابق لما دلّ عليه هذا الحديث الصريح ، والآيات القرآنية ، ولا ينكر هذا إلاّ مكابر للمشاهد المحسوس ، ومخالف لصريح المنقول ، وأنا من جملة الناس الذين شاهدوا سير الشمس ، وجريانها في مطالعها ، ومغاربها قبل أن يذهب بصري ، وكان سني حين ذهاب بصري تسعة عشر عاماً وإنما نبهت على هذا ليعلم القراء أني ممن شاهد آيات السماء ، والأرض بعيني رأسه دهراً طويلا والله المستعان ، وبالجملة فالأدلة النقلية ، والحسية على

بطلان قول من قال إن الشمس ثابتة أو قال إنها جارية حول نفسها كثيرة متوافرة وقد سبق الكثير منها فراجعه إن شئت ، فإن قيل إن مجاهداً بن جبير التابعي المشهور – رحمه الله – قد قال في تفسير قوله تعالى : (الشمس والقمر بحسبان) أنه كحسبان الرحا فتبعه على ذلك بعض العلماء وهذا يوافق قول من قال إنها تجري حول نفسها ، فالجواب أن يقال نعم قد قال ذلك كما ذكره البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الخلق) حيث قال ما نصّه : باب صفة (الشمس والقمر بحسبان) قال مجاهد كحسبان الرحا ، وقال غيره بحساب ، ومنازل لا يعدوانها. حسبان: جماعة حساب،مثل شهاب وشهبان ، قال الحافظ بن حجر في فتح الباري عند هذه الترجمة ما نصه : قوله قال مجاهد كحسبان الرحا وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ومراده أنهما يجريان على حسب الحركة الرحوية الدورية وعلى وضعها ، قال وقال غيره بحساب ومنازل لا يعدوانها ووقع في نسخة الصغاني عن ابن عباس وقد وصله عبد بن حميد من طريق أبي مالك وهو الغفاري مثله ، وروى الحربي ، والطبري عن ابن عباس نحوه بإسناد صحيح ، وبه جزم الفراء . انتهى

ونقل هذا المعنى عن مجاهد جماعة من المفسرين منهم الإمام أبو جعفر بن جرير ، وأبو عبد الله القرطبي ، وغيرهما ، ولم ينقل ذلك عن غيره من أئمة التفسير القدامى فيما اطلعت عليه وظاهر كلام البخاري – رحمه الله – يدلّ على أن مجاهداً انفرد بهذا القول لأنه لمّا حكى ذلك عنه قال ، وقال غيره بحساب ومنازل لا يعدوانها وقد ذكرنا عن الحافظ آنفاً أن هذا المعنى الثاني قد رواه الحربي ، والطبري عن ابن عباس باسناد صحيح ، ولا ريب أن ابن عباس – رضي الله عنهما – هو أعلم بتفسير كلام الله عزّ وجلّ من تلميذه مجاهد ، وقد وافق ابن عباس على هذا المعنى جمهور المفسرين ، وممن اختار هذا المعنى ، وقال إنه أولى الأقوال في تفسيره هذه الآية الإمام أبو جعفر بن جرير حيث قال في تفسيره المشهور

ما نصّه : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه الشمس ، والقمر يجريان بحساب ومنازل لأن الحسبان مصدر من قول القائل : حسبته حساباً وحسباناً مثل قولهم كفرته كفراناً ، وغفرته غفرانا . انتهى المقصود ، والذي عليه جمهور المفسرين فيما اطلعت عليه أن هذه الآية الكريمة مثل قوله تعالى في سورة الأنعام : (فالق الأصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا)ومعنى الآيتين عندهم أنهما يجريان بحساب متقن لا يتجاوزانه حتى ينقضي هذا العالم ، وبذلك يعلم القارىء ضعف قول مجاهد وأنه لا دليل من النقل ولا من شاهد العيان يدلّ عليه ، ولعلّه تلقاه عن بعض أهل الكتاب وأحسن الظن بقائله عملاً بالحديث الصحيح المشهور : (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) والحق أن أخبار بني إسرائيل تنقسم إلى أقسام ثلاثة . قسم يشهد له شرعنا بالصحة فهو مقبول لأن الشرع دلّ على صحته ، والقسم الثاني يدلّ شرعنا أنه باطل فهو مردود لأن الشرع دلّ على بطلانه ، والظاهر أن ما قاله مجاهد من هذا القسم ، والقسم الثالث ليس في شرعنا ما يدلّ على قبوله أو رده فيكون موقوفاً لا يصدق ولا يكذّب حتى يوجد من أدلة الشرع المطهر أو شواهد العيان ما يدلّ على قبوله أو ردّه ، ولا بأس بالتحدث به ، وهذا القسم هو المراد من قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح : (إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا ، وأنزل إليكم) أما القسم الثاني فلا يجوز التحدث به لمن عرف بطلانه إلاّ مع بيان بطلانه أداءاً للأمانة ، ونصحاً للأمة . وقد روي عن مجاهد – رحمه الله – في تفسير قوله : (بحسبان) ما يوافق قول الجمهور وذلك فيما رواه عنه الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسيره حيث قال عند تفسير قوله جلّ وعلا في سورة الأنعام : (والشمس والقمر حسبانا) حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد (والشمس والقمر حسبانا) قال هو مثل قوله : (كل في فلك يسبحون) ومثل قوله : (الشمس والقمر بحسبان) إنتهى ، وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط

قال مجاهد : الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبان الرحى وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة . إنتهى ، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — عن أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي ، وأبي محمد ابن حزم . وأبي الفرج ابن الجوزي أنهم حكوا الإجماع على أن الأفلاك مستديرة ، ويتضح من هذا كله أن قول مجاهد في تفسيره الحسبان بالفلك المستدير لا يخالف قول الجمهور ، وأن مراده بقوله : (بحسبان كحسبان الرحى) كونهما جاريين في فلكهما بحساب متقن لا يتجاوزانه كما أن الرحى لا تجاوز حسبانها . وليس مراده أن جريانهما كدوران الرحى من كل وجه ، فتأمل ، وتنبه والله الموفق . ويكون ما نقلناه عنه أخيراً من رواية ابن جرير مؤيداً لهذا المعنى ، ودالاً عليه . وشارحاً لمراده . ولو فرضنا أنه لم يرد عن مجاهد في تفسير (الحسبان) إلا اللفظ الأول لم يكن مراده ما اشتهر عند بعض الفلكيين اليوم من كون الشمس ثابتة . وإنما تجري حول نفسها كالرحى ، والواجب أن يحمل على معنى صحيح لا يتنافى مع أدلة الكتاب . والسنّة ، وشواهد العيان وذلك بأن يقال لعلّ مراده ومن تابعه من أهل العلم أن لهما محوراً . وأساساً يرجعان إليه وبه يحصل دورانهما المشاهد في مداراتهما المختلفة في الفلك بحساب متقن لا يتجاوزانه ، ولا يمنعهما ذلك من طلوعهما . وغروبهما . وسيرهما في منازلهما المختلفة كما نظمهما الله ، وكما يشاهد ذلك العباد ، وفي ذلك جمع بين القولين وإحسان للظن بالإمام مجاهد — رحمه الله — ومن قال بقوله هذا من أهل العلم ويكون هذا القول بهذا المعنى من القسم الثالث الذي لا يصدق ، ولا يكذّب حتى يوجد من الأدلة العلمية ما يقتضي تصديقه أو تكذيبه ، ومن هنا يعلم أن أقوال علماء التفسير إذا اختلفوا وعلماء الفلك . والرياضة ، والحساب منقسمة إلى الأقسام الثلاثة التي سبق أن ذكرناها في أخبار بني إسرائيل ، وقد ذكر التقسيم المذكور لأخبار بني إسرائيل جماعة من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذاه الحافظان الجليلان أبو عبد الله بن القيّم، وأبو الفداء إسماعيل بن

كثير ، واستقراء كلام العلماء في مسائل الخلاف يدل على أن أقوال أهل العلم في ذلك تنقسم الى هذه الأقسام الثلاثة وهكذا أقوال علماء الفلك . والرياضة . والحساب من باب أولى ، وهذه فائدة كبيرة ، ومسألة عظيمة ينبغي لطالب العلم أن يتنبه لها وأن يرجع إليها عند خفاء الأدلة . واختلاف الآراء ، وقد نصّ العلماء — رحمهم الله — على أن الواجب عند النزاع في المسائل التي لها تعلق بالشرع هو الرجوع إلى كتاب الله المبين . وسنّة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم عملاً بقوله عزّ وجلّ : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وأجمعوا على أن الردّ إلى الله سبحانه هو الردّ إلى كتابه العظيم ، وأن الرد إلى الرسول ﷺ هو الردّ إليه في حياته ، وإلى سنته الصحيحة بعد وفاته . ولا شك أن المسائل الفلكية المنصوص عليها في القرآن أو في السنة الصحيحة من جملة المسائل الشرعية التي يجب على المسلمين أن يؤمنوا فيها بما دلّ عليه كتاب الله عزّ وجلّ ، وسنّة رسوله ﷺ وأن لا يحيدوا عن ذلك من أجل آراء الفلكيين أو غيرهم بل يجب عليهم أن يعرضوا آراء الفلكيين على ما دلّ عليه الكتاب ، والسنّة في أمر الشمس ، والقمر ، وغيرهما مما ذكر في الكتاب ، والسنّة الصحيحة فما وافق الشرع من آرائهم قبل . وما خالفه ردّ عليهم ، وما لم يكن في كتاب الله ، ولا في سنّة رسوله عليه الصلاة والسلام ولا في شواهد العيان ما يدلّ على قبوله أو ردّه فإنه يكون موقوفاً لا يصدّق ولا يكذّب حتى يوجد من الأدلة العلمية ما يقتضي قبوله أو ردّه ، كما قد سبق التنبيه على ذلك . وكل من عرف شيئاً من أحوال الفلك أو الأرض بالأدلة التي يعتمدها علماء الهيئة أو غيرها على وجه لا يخالف ما دلّت عليه الأدلة النقلية ، واطمأن إلى ذلك واقتنع به فلا مانع بالنسبة إليه أن يصدّق ذلك ، ويكون ذلك بالنسبة إليه من القسم المقبول . ولكن لا يلزم غيره ممن لم يقتنع بتلك الأدلة أن يقلده ولكن يجوز له أن يروي عنه ذلك . وأمّا قول بعض الناس إن العلوم الفلكية يجب أن يرجع فيها إلى

علماء الفلك ولا يجوز لعلماء الإسلام الخوض فيها بل ينبغي أن يكونوا كالتلاميذ لأولئك فهذا القول على إطلاقه لا يصحّ بل هو من أفسد الأقوال وذلك لأن علوم الفلك فيها ماله تعلق بالشرع ، وقد وجد في الأدلّة الشرعية ما يدلّ عليه فهذا القسم لا يجوز لعلماء الإسلام ولا غيرهم أن يقلدوا فيه علماء الفلك بل يجب عليهم أن يتمسكوا فيه بما دلّ عليه الشرع وأن ينكروا ما خالف ذلك ، أمّا القسم الذي لم يرد في الشرع تعرض له فهذا هو الذي يرجع فيه إلى علماء الفلك عند الحاجة للعبرة ، والإستفادة ولكن لا يجوز أن يصدق علماء الفلك في كل ما يقولون ، بل يجب أن تقسم آراؤهم إلى الأقسام الثلاثة السابقة فيصدّق منها ما دلّت الأدلة العلمية على صدقه ، ويكذّب منها ما دلّت الأدلة على كذبه ، ويوقف منها ما سوى ذلك فلا يصدّق ، ولا يكذّب ، ولكن لا مانع من ذكره للإعتبار ، كأخبار بني إسرائيل ، كما تقدم قريباً التنبيه على ذلك ، والله الهادي إلى سواء السبيل ، فإن قيل إن اختلاف الليل ، والنهار ، والمشارق ، والمغارب ، والفصول بأسباب دوران الأرض حول الشمس قلنا هذا باطل لا أساس له من الصحة ، بل هو مخالف للمنقول ، والمشاهد المحسوس ، وأدلّة بطلانه أكثر من أن تنقل ، وتبسط في هذا الجواب الموجز ، وقد ذكرت في المقال السابق بعض الأدلّة على بطلان هذا القول ، وذكرت آنفاً في هذا الجواب من الأدلّة النقلية ، والمحسوسة ما يدلّ دلالة قطعية على أن اختلاف ذلك كله بسبب جريان الشمس ، واختلاف منازلها ومداراتها فراجع ما تقدم يتضح لك الحق إن شاء الله ، ويتضح لك أيضاً أن موضع البحث ثلاثة أشياء : الأول : جريان الشمس لا ثبوتها ، الثاني : ثبوتها مع جريها حول نفسها ، الثالث : دوران الأرض ، وقد تكلمت في المقال السابق على المسألة الأولى ، والثالثة وأوضحت فيه أدلّة بطلان قول من قال إن الشمس ثابتة لا جارية ، وبينت أن هذا كفر وضلال وردّة عن الإسلام ، وأوضحت أيضاً بطلان القول بدوران الأرض ، وحركتها وأنه خلاف المنقول ، والمحسوس ، ووسيلة

إلى القول بوقوف الشمس وعدم جريها ، وتوقفت في تكفير قائله ، وسيأتي الكلام على دوران الأرض في هذا الجواب مزيد بيان إن شاء الله ، أمّا المسألة الثانية وهي القول بثبوت الشمس ، وجريها حول نفسها فلم أتعرض لها في المقال السابق بنفي ولا إثبات ، ولم أكفّر من قال ذلك ، وإن كان عندي قولاً باطلا وخطأً ظاهراً ، وقد سبق قريباً ما يدلّ على بطلانه ، فارجع إليه إن شئت .

وأمّا قول الأخ الصوّاف : (أمّا القول بثبوت الشمس وقرارها كما يثبت الجبل في محلّه ، والسهل في مكانه فلم يقل به أحد فيما نعلم) فجوابه أن يقال : إن عدم العلم بوقوع الشيء لا يدلّ على عدم وقوعه ، وقد بلغنا عن الكثير من مدرسي علوم الفلك إطلاقهم القول بثبوت الشمس وأنها غير جارية ، ولذلك نبهنا في المقال على بطلان هذا القول وأنه كفر ، وضلال ، وتكذيب للكتاب ، والسنّة ليحذره الناس وينتبه له القراء ، ويعلموا أن هذا الإطلاق منكر ظاهر ، وتكذيب لما دلّ عليه الكتاب ، والسنّة من كون الشمس جارية لا ثابتة ، وأمّا قوله : (والذين قالوا بقرارها قالوا هي ثابتة ، ومتحركة في آن واحد ثابتة على محورها الذي أرساه الله لها ومتحركة حول هذا المحور أي هي دائرة حول نفسها ومثلها كمثل المروحة السقفية الكهربائية فهي ثابتة في السقف ، ومتحركة حول نفسها ، وبحركتها ينطلق منها الهواء المطلوب ، وهؤلاء استدلوا بقوله تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها) وفسّروا المستقرّ (بالمحور) ثم نقل الأخ الصوّاف هذا المعنى عن الشيخ محمود الألوسي من كتابه (ما دلّ عليه القرآن) والجواب أن يقال قد سبق من الأدلة النقلية ، والحسيّة ما يدلّ على بطلان هذا القول ، وأنه لا يجوز للمسلم أن يقول إن الشمس ثابتة بوجه من الوجوه لأن ذلك مصادم للآيات القرآنية ، والسنّة النبوية ، وشواهد العيان فإن الله سبحانه أخبر في كتابه الكريم في آيات كثيرة أن الشمس جارية ، ولم يقل في موضع واحد أنها ثابتة ، وأخبر رسوله ﷺ أنها جارية ، ونصّ الله سبحانه في

في سورة إبراهيم أنه سخر لعباده الشمس ، والقمر دائبين ، فلا يجوز بعد هذا كله أن يقال إنها ثابتة بوجه من الوجوه ، وأمّا تفسير المستقرّ المذكور في قوله عزّ وجلّ : (والشمس تجري لمستقرّ لها) بأنه المحور الذي تدور عليه فهو تفسير باطل مخالف لما دلّ عليه حديث أبي ذرّ المتفق على صحته ومخالف لما قاله علماء التفسير فقد ذكر النبي ﷺ في الحديث المذكور أن مستقرها هو سجودها تحت العرش . وذكر علماء التفسير في معنى المستقرّ أقوالاً ليس منها ما ذكره الأخ الصوّاف ، والألوسي ، وأنا أنقل لك أيها القارىء إن شاء الله بعض ما قاله المفسرون في معنى الآية ليتضح لك صحة ما ذكرناه ، وبطلان قول من قال إن المستقرّ هو المحور الذي تدور عليه الشمس ، وزعم بذلك أنها ثابتة جارية في آن واحد ، والله المستعان .

قال شيخ المفسرين الإمام أبو جعفر بن جرير — رحمه الله — في تفسيره المشهور عند قوله تعالى في سورة الرعد : (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) ما نصّه : يقول وأجرى الشمس ، والقمر في السماء فسخرهما فيها لمصالح خلقه ، وذللهما لمنافعهم ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين ، والحساب ، والفصل بين الليل والنهار ، وقوله : (كل يجري لأجل مسمى) يقول جلّ ثناؤه كل ذلك يجري في السماء لأجل مسمى أي لوقت معلوم وذلك إلى فناء الدنيا ، وقيام القيامة التي عندها تكوّر الشمس ، ويخسف القمر ، وتنكدر النجوم . وقال عند قوله تعالى في سورة يس : (والشمس تجري لمستقر لها) ما نصّه : يقول تعالى ذكره والشمس تجري لموضع قرارها بمعنى إلى موضع قرارها ، وبذلك جاء الأثر عن النبي ﷺ ثم ذكر بعض ألفاظ حديث أبي ذرّ التي أسلفنا ذكرها ، ثم قال : وقال بعضهم في ذلك بما حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد عن قتادة في قوله : (والشمس تجري لمستقر لها) قال وقت واحد لا تعدوه ، وقال آخرون معنى ذلك تجري لمجرى لها إلى مقادير مواضعها بمعنى أنها

تجري إلى أبعد منازلها في الغروب ثم ترجع ولا تجاوزه ، قالوا وذلك أنها لا تزال تتقدّم كل ليلة حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع . انتهى ، وذكر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره عند هذه الآية قريباً مما ذكره ابن جرير وزاد ، وقيل إلى انتهاء أمدها عند انقضاء الدنيا ، وقرأ ابن مسعود ، وابن عباس : (والشمس تجري لا مستقرّ لها) أي أنها تجري في الليل ، والنهار ، ولا وقوف لها ، ولا قرار إلى أن يكورها الله يوم القيامة ، قال وقوله : (لمستقر لها) أي إلى مستقرها ، والمستقرّ موضع القرار . انتهى المقصود .

وذكر الفخر الرازي في تفسيره (لمستقرّ) أقوالاً كثيرة ليس منها ما ذكره الألوسي وأخونا الصوّاف ، وذكر البغوي ، والخازن في تفسيرهما عند هذه الآية نحواً مما ذكره أبو جعفر بن جرير ، والقرطبي ، ولم يذكرا عن أحد من أهل التفسير ما ذكره الألوسي ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره المشهور عند هذه الآية ما نصه في معنى قوله : (لمستقرّ لها) قولان أحدهما : ان المراد بمستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب ، وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات لأنه سقفها وليس بكروي كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة ، وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس ، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما تكون إلى العرش فحينئذ تسجد . وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث ، ثم ذكر حديث أبي ذرّ بألفاظه التي قدمناها لك أيها القارىء ، وذكر أثراً عن عبد الله بن عمرو بن العاص — رضي الله عنهما —

موقوفاً عليه في معنى حديث أبي ذرّ ، ثم قال ابن كثير : وقيل إن المراد بمستقرها هو إنتهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض . والقول الثاني : إن المراد بمستقرّها هو إنتهاء سيرها وهو يوم القيامة يبطل سيرها ، وتسكن حركتها ، وتكوّر . وينتهي هذا العالم إلى غايته وهذا هو مستقرها الزماني ، قال قتادة (لمستقرّ لها) أي لوقت وأجل لا تعدوه . وقيل المراد أنها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدّة لا تزيد عليها ثم تنتقل في مطالع الشتاء إلى مدّة لا تزيد عليها. يروى هذا عن عبد الله بن عمرو — رضي الله عنهما — وقرأ ابن مسعود . وابن عباس — رضي الله عنهما — : (والشمس تجري لا مستقرّ لها) أي لا قرار لها ، ولا سكون بل سائرة ليلاً ، ونهاراً لا تفتر . ولا تقف . كما قال تبارك وتعالى : (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أي لا يفتران ، ولا يقفان إلى يوم القيامة . انتهى

وقال ابن القيّم — رحمه الله — في مفتاح دار السعادة (فصل) ثم تأمل الحكمة في طلوع الشمس على العالم كيف قدّره العزيز العليم سبحانه فإنها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتقف فيه ولا تعدوه لما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات لأن ظلّ أحد جوانب كرة الأرض يحجبها عن الجانب الآخر وكان يكون الليل دائماً سرمداً على من لم تطلع عليهم ، والنهار سرمداً على من هي طالعة عليهم فيفسد هؤلاء ، وهؤلاء ، فاقتضت الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية أن قدّر طلوعها من أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من الأفق الغربي ثم لا تزال تنور ، وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فيختلف عندهم الليل ، والنهار فتنتظم مصالحهم . انتهى ،

قال السيّد قطب — رحمه الله — في تفسيره عند قوله تعالى : (والشمس تجري لمستقرّ لها) ما نصّه : والشمس تدور حول نفسها

وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرّة في مكانها إنما هي تجري فعلاً . تجري في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية ، والله ربها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها ، يقول إنها تجري لمستقرّ لها هذا المستقرّ الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلاّ هو سبحانه ، ولا يعلم موعده سواه ، وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه ، وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك ، وتجري في الفضاء لا يسندها شيء ندرك طرفاً من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة . وعن علم إلى أن قال عند قوله تعالى : (وكل في فلك يسبحون) ما نصّه : وحركة هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة السفينة في الخضمّ الفسيح فهي مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطاً سابحة في ذلك الفضاء المرهوب ، وأن الإنسان ليتضاءل ، ويتضاءل وهو ينظر إلى هذه الملايين التي لا تحصى من النجوم الدوارة ، والكواكب السيّارة متناثرة في ذلك الفضاء سابحة في ذلك الخضمّ . والفضاء من حولها فسيح فسيح وأحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح . انتهى ، وفي كلام السيّد قطب ما ينبّه القراء على أن ما يقوله بعض علماء الفلك عن ثبوت الشمس ، وجريانها حول نفسها ، إنما هو شيء مظنون لا معلوم ، ولهذا ظهر لبعضهم أخيراً أنها جارية لا مستقرّة ، وأنها تجري فعلاً في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل ، وقوله في اتجاه واحد يعني بذلك منازلها ، ومداراتها التي نظمها الله ، وأما ما ذكره هو وغيره من علماء الفلك عن سرعة سيرها ، وعن ضخامتها بالنسبة إلى أرضنا فهذا وأشباهه من الأمور التي لا يجوز الجزم بها إلاّ لمن تحصل على أدلّة علمية ترشده إلى ذلك وهي بالنسبة إلى أكثر الخلق من القسم الثالث من أخبار علماء الهيئة الذي لا يصدّق ولا يكذب بل يوقف حتى توجد أدلة علمية تقتضي التصديق أو التكذيب ، وحسب

المسلم في مثل هذا أن ينقل هذه الأخبار عن أهلها من دون تصديق أو تكذيب حتى يجتمع له من الأدلة العلمية ما يرشده إلى التصديق أو ضده كما سبق التنبيه على مثل هذا غير مرة ، ولا يخفى على اللبيب أن علماء الهيئة فيهم الكافر ، وفيهم المسلم ، وفيهم الثقة ، وغيره ، ولا يخفى أيضاً ما يقع في كلام الكثير منهم من التناقض ، والاختلاف ، والجزم بالشيء ثم الرجوع عنه ، ولا يخفى أيضاً أنه لا يزال فيهم من يقول القول بخلاف من قبله ثم يأتي آخر فيؤيد الأول ، ويبطل ما قاله من بعده ، وهكذا دواليك ، ومنهم من يعتبر الأشياء المظنونة قضايا مسلّمة فيأخذها عنه تلاميذه على أنها من العلوم اليقينيات ، والواقع بخلاف ذلك ، وما كان بهذا السبيل لا يجوز لطالب الحق أن يقبل ما جاء عن أهله مسلّماً بل لا بد من نظر واعتبار وعرض على الأدلة النقلية ، والحسية حتى يتضح له من ذلك ما يطمئن إليه ، ولذا قال السيد قطب بعد ذلك ما نصه : والله ربها الخبير بها وبجريانها ومصيرها ، وأما قوله : هذا المستقر الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو سبحانه ، ولا يعلم موعده سواه فقد سبق لك أيها القارىء ما ثبت في الحديث المتفق على صحته من رواية أبي ذر — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال : (مستقرها تحت العرش) وهو سجودها هناك ، فراجع الحديث يتضح لك أن هذا هو الصواب ، وأنه ليس من علم الغيب لما قد بينه الله لرسوله ﷺ ، ويستغرب من السيد قطب عدوله عن ذلك مع سعة علمه ، واطلاعه ، والله يعفو عنا وعنه وعن سائر المسلمين ولو فرضنا صحة ما قاله بعض علماء الفلك من أن للشمس محوراً ترجع إليه لم يلزم من ذلك أن تكون ثابتة ، ولا دائرة حول نفسها كما سبق التنبيه على ذلك عند قول مجاهد في تفسير قوله تعالى : (الشمس والقمر بحسبان) أنه حسبان كحسبان الرحاء ، فراجع ما تقدم يتضح لك الحق إن شاء الله .

وجميع ما ذكرناه آنفاً عن علماء التفسير يدلّ دلالة صريحة على خلاف ما قاله الشيخ محمود الألوسي في كتابه : (ما دلّ عليه القرآن) وخلاف

ما نقله الأخ الصوّاف عن القائلين بأن الشمس ثابتة جارية في آن واحد ، وأنها تجري حول نفسها كالمروحة في السقف ، وكل ذلك يدلّ على أن جريانها يتضمن سيرها وتنقلها في منازلها ، ومطالعها ، ومغاربها وذلك خلاف القول بأنها جارية حول نفسها لأن جريانها حول نفسها يقتضي ثبوتها في مكان واحد كالرحى ، والمروحة ، والأدلّة المتقدمة كلها تبطل ذلك ، وهكذا ما نقلناه عن العلماء صريح في إبطال هذا القول ، فتأمل أيها القارىء ما قدمناه من الأدلة ، وكلام العلماء وأخلص الرغبة إلى الله في طلب الحق توفّق للصواب إن شاء الله ، وإلى ههنا ينتهي الكلام على بحث جريان الشمس ، ونرجو أن يكون فيما نقلناه مقنع ، وكفاية لطالب الحق ، فلننتقل إلى المسألة الثالثة وهي مسألة البحث في دوران الأرض ، فنقول : قد ذكرنا في المقال السابق كثيراً من الأدلّة على بطلان القول بدوران الأرض ، وأوضحنا أن ذلك خلاف البراهين النقليّة ، والأدلّة الحسيّة ، والمشاهدة ، ووسيلة للقول بوقوف الشمس وعدم جريانها ، ونقلنا كثيراً من كلام علماء الإسلام ، وأئمة اللغة في ذلك ، وأنا أذكر للقارىء هنا بعض ما ذكرته هناك ، وأزيد بعض النقول المفيدة ، وأجيب عن الشبه ، والأسئلة التي ذكرها الأخ الصوّاف في تعقيبه رغبة في إظهار الحق ، وإزاحة الشبه ، والله ولي التوفيق ولو أن القائلين بدوران الأرض وقفوا عند هذ الحدّ لكان الأمر أسهل ، ولكنهم تجاوزوا هذا حتى قالوا إن الشمس ثابتة ، والأرض تدور حولها ، ولبّسوا على الناس بقولهم إن الشمس تجري حول نفسها ، وزعموا أن للأرض دورتين إحداهما يومية ، وبها يحصل طلوع الشمس وغروبها وينشأ عن ذلك تعاقب الليل ، والنهار ، والثانية سنوية ، وينشأ عنها تعاقب الفصول الأربعة ، وبعض الكتّاب يحكي إجماع علماء الفلك على ذلك ، وفي هذا الكلام من التلبيس ، والغلط البيّن ، ومخالفة الأدلّة النقلية ، والحسيّة ما لا يخفى على من تأمل المقام ونظر في الأدلّة نظر المتجرد عن التقليد ، الراغب في إصابة الحق بدليله ، ولا ينبغي للقارىء أن يخدع بما ذكره بعض الناس من إجماع

علماء الهيئة على أن للأرض دورتين لأن في هذا الإجماع المزعوم نظراً ، وسيأتيك في هذا الجواب نقول عن بعض علماء الهيئة المعاصرين والمتقدمين تخالف ذلك ، وتدلّ على أن المسألة ليست مسألة إجماع بينهم ، بل هي مسألة خلاف ولو فرضنا صحة ما ذكر من الإجماع عن علماء الهيئة المتأخرين لم يكن في إجماعهم حجة لأنهم غير معصومين في إجماعهم ، وإنما الإجماع المعصوم هو إجماع علماء الإسلام الذين اجتمعت فيهم أدوات الاجتهاد ، وعرفوا بالدين ، والإستقامة ، أمّا علماء الهيئة فليسوا كذلك ، والواجب عرض ما أجمعوا عليه ، وهكذا ما اختلفوا فيه من باب أولى على الأدلة النقلية ، والحسيّة ، وتمحيص أقوالهم فما وافق الأدلّة من ذلك وجب قبوله وما خالفها وجب ردّه ، وما اشتبه أمره ولم تتضح أدلّة قبوله أو ردّه ، وجب أن يكون موقوفاً حتى يوجد من الأدلّة ما يقتضي قبوله أو ردّه ، كما سبق ذكر هذه القاعدة غير مرّة ، والله المستعان وهذا أوان الشروع في ذكر بعض الأدلّة على ثبوت الأرض ، وعدم حركتها ، ودورانها المزعوم ، قال الله تعالى في سورة الرعد : (وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا) الآية ، وقال في سورة النحل : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون) وقال تعالى في سورة الأنبياء : (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) الآية ، وقال في سورة لقمان (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) وقال في سورة النمل : (أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهارا) الآية ، وقال في سورة المؤمن : (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا) وقال في سورة النبأ : (ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا) فهذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها كلها تدلّ على أن الله سبحانه خلق الأرض لعباده فراشاً ، ومهداً ، وقراراً ، وأرساها بالجبال الثوابت ليستقروا عليها ويباشروا أعمالهم على ظهرها براحة وطمأنينة وليسيروا في مناكبها لطلب الرزق وهي قارة ثابتة لا تميد بهم ، والميد هو الحركة بجميع معانيها ، والله

جلّ وعلا لمّا نفى الميد عن الأرض دخل في نفيه ذلك نفي حركتها ، ودورانها واضطرابها وأرشد عباده بذلك إلى أنها ساكنة قارة ليطمئنوا على ظهرها هكذا فسّر الميد أئمة اللغة ، والتفسير ، قال الجوهري في الصحاح : (ماد الشيء يميد ميداً تحرك ، ومادت الأغصان تمايلت . وماد الرجل تبختر) وقال ابن منظور في اللسان : (ماد الشيء يميد ميداً تحرك . ومال) وفي الحديث لمّا خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال . إلى أن قال : وقال أبو العباس يعني ثعلباً وهو من أئمة اللغة في قوله تعالى : (أن تميد بكم) قال : تتحرك ، وتزلزل ، وقال الفراء : سمعت العرب تقول : الميد الذين أصابهم الميد من الدوار ، وقال في القاموس : ماد يميد ميداً وميداناً تحرك وزاغ ، وقال الإمام ابن جرير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : (وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا) ما نصّه : يقول تعالى ذكره والله الذي مدّ الأرض فبسطها طولا وعرضاً . وقوله : (وجعل فيها رواسي) يقول جلّ ثناؤه وجعل في الأرض جبالاً ثابتة والرواسي جمع راسية وهي الثابتة ، يقال منه أرسيت الوتد في الأرض إذا أثبته ، كما قال الشاعر :

به خالدات ما يرمن وهامد   وأشعث أرسته الوليدة بالفهر

يعني أثبته . وقال – رحمه الله – عند قوله تعالى في سورة النحل : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) ما نصّه : يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضاً أن ألقى في الأرض رواسي وهي جمع راسية وهي الثوابت في الأرض من الجبال ، وقوله : (أن تميد بكم) يعني أن لا تميد بكم وذلك مثل قوله تعالى : (يبيّن الله لكم أن تضلّوا) والمعنى أن لا تضلّوا وذلك أنه جلّ ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يميد خلقه الذي على ظهرها ، وقد كانت مائدة قبل أن ترسى بها ثم ذكر بعض الآثار في ذلك ، ثم قال : والميد هو الإضطراب ، والتكفؤ يقال مادت السفنة تميد ميداً إذا

تكفأت بأهلها ، ومالت ، ومنه الميد الذي يعتري راكب البحر وهو الدوار . إنتهى ،

وقال الإمام البغوي – رحمه الله – عند قوله تعالى في سورة النحل : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) ما نصه : أي لئلا تميد بكم أي تتحرك وتميل ، والميد هو الاضطراب ، والتكفء ، ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد . إنتهى ، وقال الإمام أبو عبد الله الأنصاري القرطبي – رحمه الله – في تفسيره المشهور (الجامع لأحكام القرآن) عند قوله تعالى في سورة الرعد : (وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا) ما نصّه : (الذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول بوقوف الأرض ، وسكونها ، ومدّها وأن حركتها إنما تكون في العادة لزلزلة تصيبها) إنتهى ، وقال أيضاً عند قوله تعالى في سورة الأنبياء : (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالاً ثوابت (أن تميد بهم) أي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها ، قاله الكوفيون ، وقال البصريون : المعنى كراهية أن تميد بهم ، والميد التحرك . والدوران ، يقال ماد رأسه أي دار ، وقال الفخر الرازي – رحمه الله – في تفسيره المشهور عند قول الله تعالى : (الذي جعل لكم الأرض فراشا) ما نصّه : إعلم أن الله سبحانه وتعالى ذكر ههنا أنه جعل الأرض فراشاً ، ونظيره قوله : (أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهارا) وقوله : (الذي جعل لكم الأرض مهدا) واعلم أن كون الأرض فراشاً مشروط بأمور ، الشرط الأول : كونها ساكنة وذلك لأنها لو كانت متحركة لكانت حركتها إما بالاستقامة أو بالاستدارة ، فإن كانت بالإستقامة لما كانت فراشاً لنا على الإطلاق لأن من طفر من موضع عال كان يجب أن لا يصل إلى الأرض لأن الأرض هاوية ، وذلك الإنسان هاو ، والأرض أثقل من الإنسان ، والثقيلان إذا نزلا كان أثقلهما أسرعهما والأبطأ لا يلحق الأسرع فكان يجب أن لا يصل الإنسان إلى الأرض فثبت أنها لو كانت هاوية لما كانت فراشاً ، أمّا لو كانت حركتها بالاستدارة

لم يكمل انتفاعنا بها ، لأن حركة الأرض مثلا إذا كانت إلى المشرق ، والإنسان يريد أن يتحرك إلى جانب المغرب فلا شك أن حركة الأرض أسرع فكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه ، وأنه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد ، فلمّا أمكنه ذلك علمنا أن الأرض غير متحركة لا بالاستدارة ، ولا بالاستقامة فهي ساكنة . إنتهى المقصود .

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره عند قوله تعالى في سورة الأنبياء : (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا أرسى الأرض بها ، وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أي تضطرب . وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها ، وقال – رحمه الله – عند قول الله سبحانه في سورة النمل . (أمّن جعل الأرض قرارا) ما نصّه : يقول : (أمّن جعل الأرض قرارا) أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها . وترجف بهم فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش . والحياة بل جعلها بفضله ورحمته مهاداً ، وبساطاً ثابتة لا تتزلزل ، ولا تتحرك كما قال في الآية الأخرى: (الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءا) انتهى.

وقال الشوكاني – رحمه الله –في تفسيره لقوله تعالى في سورة النحل: (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) أي كراهة أن تميد بكم على ما قاله البصريون أو لئلاّ تميد بكم على ما قاله الكوفيون ، والميد الإضطراب يميناً ، وشمالا ، ماد الشيء يميد ميداً تحرك، ومادت الأغصان تمايدت ، وماد الرجل تبختر ، وقال عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنبياء ؛ (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) الميد : التحرك ، والدوران ، أي لئلا تتحرك وتدور بهم أو كراهة ذلك . اه ، وهذا يوافق ما نقلناه آنفاً من القرطبي – رحمه الله – وقال ابن القيّم – رحمه الله – في مفتاح دار السعادة (فصل) ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهاداً ومستقراً للحيوان ، والنبات ، والأمتعة ويتمكن الحيوان ،

والناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس لراحاتهم ، والنوم لهدوئهم ، والتمكن من أعمالهم ، ولو كانت رجراجة متكفئة لم يستطيعوا على ظهرها قراراً ، ولا هدوءاً ، ولا ثبت لهم عليها بناءاً ، ولا أمكنهم عليها صناعة ولا تجارة ولا حراثة ولا مصلحة ، وكيف كانوا يتهنون بالعيش والأرض ترتجّ من تحتهم ، واعتبر ذلك بما يصيبهم من الزلازل على قلّة مكثها كيف تصيرهم إلى ترك منازلهم ، والهرب عنها . وقد نبّه الله تعالى على ذلك بقوله : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) وقوله تعالى : (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا) وقوله : (الله الذي جعل لكم الأرض مهدا) وفي القراءة الأخرى (مهادا) وفي جامع الترمذي ، وغيره من حديث أنس ابن مالك — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ قال : (لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدّة الجبال ، فقالوا : يا ربّ هل من خلقك شيء أشدّ من الجبال ؟ قال : نعم الحديد ، قالوا: يا ربّ هل من خلقك شيء أشدّ من الحديد ؟ قال:نعم النار ، قالوا : يا ربّ فهل من خلقك شيء أشدّ من النار ؟ قال : نعم الريح ، قالوا : يا ربّ فهل من خلقك شيء أشدّ من الريح ؟ قال : نعم ابن آدم يتصدق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله) اه . وقال الشيخ العلاّمة عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى عام ٤٢٩ ه في كتابه (الفرق بين الفرق) في جملة ما نقله عن أهل السنّة صفحة — ٣٣٠ — من الكتاب المذكور ما نصّه : وأجمعوا على وقوف الأرض ، وسكونها وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها خلاف قول من زعم من الدهرية أن الأرض تهوي أبداً ، ولو كانت كذلك لوجب ألا يلحق الحجر الذي نلقيه من أيدينا الأرض أبداً لأن الخفيف لا يلحق ما هو أثقل منه في انحداره ، وأجمعوا على أن الأرض متناهية الأطراف من الجهات كلها ، وكذلك السماء متناهية الأطراف من الجهات الستّ ، وسبق ما نقلته عن القرطبي — رحمه الله — أنه حكى عن المسلمين وأهل الكتاب القول بسكون الأرض ، وهذا كالاجماع فكيف

يجوز للمسلم أن يعدل عن ظاهر الكتاب ، والسنّة ، وعن قول علماء الإسلام المعروفين بالعلم ، والتحقيق ، وعمّا هو معروف بين المسلمين ، وأهل الكتاب من سكون الأرض وثبوتها إلى ما يخالف ذلك ، بل ويخالف المحسوس المشاهد ، وقال الأستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (كنز العلوم واللغة) في صفحة — ٤٦ — في مادة : أرض ما نصّه : أمّا دوران الأرض فهذا موضع الخلاف ، أقول الخلاف لأنه رغماً عن شيوع فكرة دورانها ، وتغلبها على النظرية المضادة لها لم تزل بين الأعلام الرياضيين موضع الشك . إنتهى المقصود . وقال أيضاً في كتابه (دائرة المعارف) صفحة — ١٨٣ — بعد ما ذكر نحو كلامه في كنز العلوم : فلمّا ظهرت الفلسفة اليونانية مستمدة روحها من العلم المصري القديم ، ونبغ سقراط ، وأفلاطون وأرسطو إرتفعت معلومات اليونانيين على الأرض ، إذ أخذ هؤلاء العلماء يقررون أن الأرض كروية الشكل ، وأن بلادهم جزء صغير من أجزائها ، ويروى عن فيلسوفهم (فيثاغورس) وقد كان عائشاً قبل المسيح بنحو خمسة قرون أنه قال بدوران الأرض حول الشمس فقبل الناس نظريته زماناً طويلاً حتى نبغ الفلكي (اسكندري بطليموس) الذي كان عائشاً قبل الميلاد بنحو قرن ونصف ، فقرر أن الأرض ، وإن كانت كروية إلا أنها ساكنة غير متحركة ، وأن الشمس هي التي تدور حولها ، فراجت نظرياته هذه في العقول وبقيت شائعة سائدة حتى ظهر الفلكي البولوني الشهير (بوانكاريه) في القرن السادس عشر الميلادي فقرر رأي فيثاغورس وأيده بالأدلّة الرياضية ، وتلقاها علماء الهيئة في كل مكان ، ثم قال وقد ورد ذكر دوران الأرض في بعض الكتب الإسلامية قبل ظهور كوبرنيك فتكلم عنها عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد المتوفى سنة ٧٥٦ ه في كتابه (المواقف) وتابعه شارح المواقف علي ابن محمد الجورجاني المتوفى سنة ٨١٦ ه وذكرها بهاء الدين العاملي في رسالة (تشريح الأفلاك) ثم قال : (براهين حركة الأرض) رأى القارىء قبول العلاّمة (بوانكاريه) أنه لا يوجد لدينا دليل حسّي على دوران الأرض

ولكن لدينا أدلّة غير حسّية لا تحصى ، وكلها تختص بالعلوم الرياضية ، ولا يدرك مكانها من القوّة إلا الراسخون في الرياضيات ، ولذلك ضربنا عنها صفحاً .

وقال الأستاذ محمد فريد وجدي أيضاً في كتابه المشهور (الإسلام في عصر العلم) المطبوع سنة ١٣٥٠ هـ صفحة – ١٣٧ – من الجزء الثاني ، ما نصّه : الأدلّة على دوران الأرض حول الشمس غير حاصلة على صفة الأدلّة المحسوسة حتى لا يمكن الخوض فيها كمسألة كرويتها ، ولذلك ترى نفراً من العلماء ، والرياضيين لا يزالون يتشككون في ذلك ، ويشككون غيرهم ، كتب المسيو دروءون في جريدة (ليبرپارول) الباريسية في ٩ يناير الماضي يقول : لم يقم الدليل للآن على صحة دوران الأرض كما كان يزعم جاليليه (هو ناشر تعاليم كوبرنيك) ولا على أنها مركز العالم الشمسي ، وهذا المسيو (بوانكاريه) أكبر علماء الهندسة ، والطبيعة الفرنساويين لم يجزم للآن بدوران الأرض لأنه يقول : يقولون إن الأرض تدور ، وأنا لا أرى مانعاً من دورانها فإن فرض دورانها سهل القبول ويمكن به فهم كيفية تكوّن ونمو الدنياوات ، ولكنه فرض لا يمكن إثباته ، ولا نفيه بالأدلّة المحسوسة ، هذا الفضاء المطلق أي الحيّز الذي يلزم نسبة الأرض إليه للتحقق من دورانها أو عدم دورانها ليس له وجود في ذاته ، من هنا ترى أن قولهم الأرض دائرة لا معنى له البتة لأنه ليس في وسع أية تجربة إثباته لنا بالحسّ ، هاتان الجملتان : (الأرض دائرة) والأسهل فرض أن الأرض دائرة لا تعنيان إلاّ شيئاً واحداً ، ولا تمتاز إحداهما عن الأخرى في معنى جديد ، وجاء في جريدة (اكلير) الفرنساوية في ١٧ فبراير الماضي تحت إمضاء بعض الكاتبين قوله : ليس من المحقق الثابت أن الأرض دائرة ، ومع ذلك فهذه نظرية شائعة ذائعة ، وعقيدة علمية كبرى لا يحسبون لها سقوطاً ، هذا وأنك ترى أن نظرية الجاذبية العامة قد عادت لمجال المناقشة ، وأن قوانين (كيلر) اشتهرت بكونها فروضاً ظنية ليس إلاّ ، يريد الكاتب أن يقول : إذا كانت نظرية

الجاذبية العامة ، وقوانين (كيلر) تعتبر فروضاً قابلة للبحث فلم لا يكون الأمر كذلك بالنسبة لنظرية دوران الأرض ، ثم نقل العلاّمة محمد فريد وجدي هنا كلام (فلايون) صفحة ١٣٨ إلى –١٤٠– من الجزء الثاني من كتابه (الإسلام في عصر العلم) محتجاً على قوله بالدوران باستبعاد أن تكون الأجرام العلوية الكبيرة دائرة حول جرم صغير بالنسبة إليها وهو جرم الأرض وذلك في كلام طويل لم نستحسن نقله لطوله ، وقلّة فائدته ، فمن أراده فليراجعه في محله ، وجوابنا عن ذلك أن يقال وأي مانع من أن تقتضي حكمة العزيز العليم القادر على كل شيء تسخير هذه الأجرام الكبيرة السماوية للجريان حول الأرض لمنفعة سكان الأرض ، ومصالحهم لأن الله عزّ وجلّ إنما خلق الأرض ليعبد عليها ، ويطاع ، ويعظّم ، ويعرف بأسمائه وصفاته ، وليرسل الرسل إلى سكانها ، وينزّل عليهم الكتب المقدسة المبينة لحقه ، ومصالح عباده ، والدالّة على ما يرضيه من الأقوال ، والأعمال ، وما يسخطه من ذلك ، والمبينة لحال الآخرة ، وأحوال الجنّة ، والنار وغير ذلك من الشؤون العظيمة التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ونزلت بها الكتب السماوية ؛ وصار المؤمنون بذلك في هذه الأرض على صراط مستقيم ، قال الله تعالى : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) وقال تعالى : (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) وقال تعالى : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقال تعالى : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) فهذا الإله العظيم الذي خلق السموات ، وخلق الأرض وما بينهما، وسخر ذلك لعباده كيف يستغرب عليه ، وكيف يستنكر من صنعه أن يجري الأجرام السماوية حول هذه الأرض التي جعلها مسكناً موقتاً لرسله وأوليائه حتى يعبدوه ويقوموا بحقه ، ويرشدوا عباده إلى ما يستحقه من التعظيم ، والإجلال وأنواع الطاعة

والعبادة ، وهذا كله بناءً على ما اشتهر عند الفلكيين من كون الشمس ، والقمر ، وأجرام أخرى مشهورة عندهم أعظم وأكبر من جرم الأرض بأضعاف كثيرة متفاوتة ، ونحن في هذا المقام لا نستطيع أن نكذبهم ، ولا أن نصدقهم لعدم علمنا بحقيقة هذه الأجرام السماوية ، وعظم خلقها بل قولنا في ذلك هو ما تقدم غير مرّة وهو أن أخبار الفلكيين ونحوهم تنقسم إلى أقسام ثلاثة : مقبول ، ومردود ، وموقوف ، فالمقبول منها هو ما دلّت الأدلّة العلمية على صحته ، والمردود منها ما دلّت الأدلّة العلمية على بطلانه ، والموقوف منها هو ما لم يوجد في الأدلّة العلمية ما يشهد له بالقبول أو الردّ فيكون موقوفاً بالنسبة إلى طالب العلم الناظر في أي مسألة من مسائل أحكام الفلك حتّى يتضح له من الأدلّة ما يرشده إلى القبول أو الرد ، والله الموفق .

ثم نقل الكاتب الشهير محمد فريد وجدي عمن سماه بالأستاذ الفلكي الطائر الصيت الذي يعدّ أول رياضي الآن في البلاد الفرنسية كلاماً مسهباً في الردّ على القول بدوران الأرض قال في آخره صفحة — ١٤١ ما نصّه : ومن هنا ترى أن تأكيدهم أن الأرض تدور لا معنى له لأنــه لا يوجد ما يثبته بالتجربة . إنتهى ، ثم قال العلاّمة محمد فريد وجدي بعد هذا ما نصّه : يرى أيضاً من تضارب هذه الأفكار بين أكبر علماء الأرض أن أمر دوران الأرض غير حاصل على ما يجعله من العلوم البديهية فإن مثل العلاّمة (بوانكاريه) لم يكن يتجاسر على مثل هذا القول ، وهو أكبر رياضي فرنسي اليوم إن لم نقل أكبر رياضي فلكي في العالم إذا لم يكن على ثقة تامة مما يقول ، وعلى بينة مما يرمي إليه ، ولو كان المعلمون في أثناء تدريسهم للعلوم الطبيعية يسلكون مسلك العلماء في الإقرار بالجهل فيرون تلامذتهم وجه الضعف في المعلومات الطبيعية لأدّوا لتلامذتهم أكبر خدمة لأنهم بهذا يعودونهم على الأدب النفسي فتنشأ نفوسهم معتادة على التواضع أمام فخامة الكون ، وجلالته ، والسجود أمام مبدعه ، ومصوره ، ولكن أكثرهم يدرّسون

لهم العلوم المشكوك فيها ، والفروض الطبيعية الظنية بصفة حقائق ثابتة فيتذرع بها أولئك التلامذة الأغرار متى كبروا إلى الإلحاد ، ونفي الروح ، والخلود ، ولا يدرون أنهم يتمسكون بالظنون ، وأن الظن لا يغني من الحق شيئاً . إنتهى كلام العلاّمة محمد فريد وجدي ، قلت وما أحسن ما قاله هذا العلاّمة في شأن المدرسين ، وأن الواجب عليهم أن يوضحوا لتلاميذهم حقائق الأمور على ما هي عليه ، ومدى علمهم بها ، وأن يسلكوا مسالك العلماء في الإعتراف بالجهل بكثير من الأمور حتّى يعتاد الطالب التوقف عما لا يعلم ، والتثبت في الأمور ، والتمييز بين المعلومات القطعية والظنيّة ، والله المستعان ، وقال الشيخ العلاّمة محمد الحامد خطيب ومدرّس جامع السلطان بحماه ، ومدرّس الديانة في ثانوية ابن رشد في كتابه (ردود على أباطيل وتمحيصات دينية لحقائق) صفحة —٣٣٤— تحت عنوان (موقف المسلمين من النظريات العلمية) ما نصّه : ما فتىء العلم الحديث يتحفنا في الحين بعد الحين بطرفه ، ويطالعنا بنظرياته ، ويكشف الغطاء عن كثير من المحجوبات الكونية فيسدي إلينا أيادي بيضاء نقدرها له أتمّ تقدير ، والدين الإسلامي أخ العلم الصحيح ، وقرينه دعا إليه بنصوصه الكثيرة المعلومة لكل من ينظر في القرآن الكريم نظرة إمعان ، ورويّة ، ويقرأه قراءة تدبّر وتفكر واستنارة واستبصار .

وما من شكّ في أن الإيغال في البحث عن المكونات داع إلى الإيمان وداعم له يشدّ أزر العقيدة ، ويثبتها أن تتزلزل بأوتاد من العلم تغذوه طمأنينة يحسّ صاحبها برد اليقين وأن لا إله إلا الله الذي خلق فسوى ، والذي قدّر فهدى ، والذي هو جدير بأن تأله القلوب له سبحانه بالتوجه ، والعبادة غير أن هذه النظريات التي يطلع بها علينا أصحابها في الفينة بعد الفينة متفاوتة الثبوت فبعضها مقطوع به ولا سبيل إلى جحده ، وإنكاره ، وبعضها ما يزال قيد الدّرس والبحث ، وبعض آخر وقع الإنصراف عنه لخطأ القول به ، وقد كان محسوباً في نظر أصحابه من الحقائق ، وبما أن بعضاً من النظريات الحديثة يلامس ما عرض له الكتاب الكريم بالإثبات أو بالنفي وجب أن يقف

المسلمون منه موقفاً يلائم العقيدة ، والإيمان ، ويوائم هدي القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيثبتوا ما أثبته ، وينفوا ما نفاه ، وما لم يتعرض له بإقرار ولا إنكار تركوه للتحقيق العلمي فهو وحده الذي يتحمل تهمة إقراره أو إنكاره ، وليحذروا جهدهم أن يغلبهم الهوى ، وتحكمهم العاطفة فيحاولوا تنزيل الكتاب المحكم المتين الذي لا يتبدل ولا يتغير على فكر حديثة ما تزال بعد متأرجحة ليس لها من البرهان ما يجعلها مسلمة الثبوت . ولو أنهم فعلوا ذلك ملتمسين من الآيات الشريفة تأييد نظرية ظهر بعد بطلانها لأساءوا إلى دينهم إساءة بالغة إذ يمكنون خصوم الإسلام من الطعن فيه ، وأن يقولوا إنه باطل لأن نصوصه تؤيد الباطل إذا عقلنا هذا مشفوعاً بالهيبة من القول في القرآن الكريم بغير علم لما فيه من الوعيد الشديد كنا على خطة من الإعتدال الفكري يؤمن معها بمشيئة الله تعالى أن نكون جناة على ديننا من حيث نريد له الخير بزعمنا . لنأخذ الآن مثالاً واحداً لنرى كيف تبدلت النظريات في موضوع واحد وكيف تقلبت وجوه الرأي فيه ثم نكشف عن وجه الحق فيه بما قرره القرآن الكريم ضاربين بالأباطيل عرض الحائط مطرحين الأوهام جانباً . كان الفلكيون القدامى قائلين بثبات الأرض واستقرارها ، وجريان الشمس حولها ثم طلع بعض الفلكيين بنظرية دوران الأرض ، وثبات الشمس ، وقد راجت هذه الفكرة رواجاً عظيماً ، واعتقدها كثير من الناس حقيقة لا ريب فيها ثم تسرب الشك فيها إلى بعض العقول بل تجددت فكرة الرجوع إلى القول الأول قطعاً عند بعض الفلكيين الجدد، ثم ذكر هنا بعض ما نقله العلامة محمد فريد وجدي في كتابه (الإسلام في عصر العلم) مما قد أسلفناه لك آنفاً نقلا عن الكتاب المذكور ثم قال الشيخ العلامة محمد الحامد المذكور ما نصه : وقد صدر سنة ١٩٢٦ م كتاب بالفرنسية اسمه (الأرض لا تدور) تأليف ب. رايو فينش ذكر فيه براهين علمية على ثبات الأرض ، وختمه بقوله : فيبرهن ذلك على أن الشمس تدور حول الأرض ، وكذا القمر

يدور حولها ، وعلى عدم حركة الأرض . من هذا كله يتضح أن فكرة دوران الأرض ليست متفقاً عليها ، ومن الجراءة على الله تعالى محاولة تثبيت ما ليس بثابت بآياته الكريمة الحقة التي لا يتطرق إليها بطلان . وبعد فلنذر هؤلاء الفلكيين يرد بعضهم قول بعض ولنقرأ آيات القرآن الكريم مؤمنين بأنها الحق لا ريب فيه ، وأن الله تعالى لا يخبر بخلاف الحقيقة مسايرة للناس فيما يتوهمونه ، إن أولئك المختلفين لم يشهدوا خلق المكونات فتكون أقوالهم حججاً يحتج بها ، وبراهين يسار على ضوئها ، قال الله تعالى : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا.) إننا حين ننظر في الآيات الكريمة التي ذكر الله فيها الأرض والشمس والقمر والنجوم ، ونخرج بالفهم الصحيح الذي فهمه النبي الكريم وأصحابه صلوات الله تعالى وتسليماته عليه وعليهم أجمعين ، ومعاذ الله أن يفهموا خطأ ويفهم غيرهم صواباً ولكن قد اقتحم بعض الجرآء على الله هذه اللجة فزعم أن قوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) يدل على دوران الأرض وحركتها وهو استدلال غير صحيح ، وتفسير غير مقبول ، وإليك البيان : إن الاستدلال بهذه الآية الكريمة على حركة الأرض متوقف على أن لا يكون سباق وسياق يفيدان غير ما يفهم المستدل ومتوقف أيضاً على أن لا يوجد نص آخر يعترض : وكلا الأمرين موجود ههنا فالإستدلال إذاً غير سليم ، والنظر ليس بسديد ، أما الأول فإن السباق وهو أول الكلام والسياق وهو آخره يفيدان أن مرور الجبال مر السحاب إنما يكون يوم القيامة إذ أن الآية واردة في وصفه قال الله تعالى : (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) فالآيات في القيامة كما هو ظاهر لا في هذه الدنيا ، وكم في الآي

من سباق وسياق يتعين بهما معنى لا يمكن المحيد عنه على أن الله تعالى ذكر سير الجبال يوم القيامة في غير موضع من كتابه الكريم ، وقال سبحانه في سورة الكهف الشريفة ، (ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) وقال تعالى في سورة التكوير : (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت) الآيات الكريمات ، وبهذا البيان يبطل الاستشهاد بالآية على حركة الأرض ، وأمّا الثاني : وهو أن لا يوجد نص معترض فإنا لو نظرنا إلى الفكرة من حيث هي نظراً شرعياً صرفاً لما استطعنا إلاّ المصير إلى ما تقرره النصوص القرآنية المانعة منها : أن القرآن قائل بثبات الأرض وما أصرح قوله سبحانه : (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) وقوله في مكان آخر : (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) والميد هو التحرك كما تدلّ عليه نصوص اللغة قال الله تعالى : (ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا) هؤلاء الآيات يدلّلن دلالة واضحة على تثبيت الله الأرض بالجبال لئلا تتحرك ، والقول بأن تثبيتها بالجبال لا ينافي حركتها كالسفينة المثقلة بما يحفظ عليها توازنها مع سيرها في اللجة فيه من التكلف البارد ما يأباه الذوق الإسلامي وترفضه البلاغة القرآنية إذ هو دخول في مأزق من التأويل يصرف النصّ عن المتبادر منه من غير حاجة تدعو إليه فهو في الحقيقة تلاعب لا تأويل يقوم على أسس الصحة هذا وكما قرر القرآن ثبات الأرض قرر حركة الشمس والقمر ،وجريانهما حولها .
يقول الله تعالى : (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) والتنوين في كل تنوين عوض أي كل منهما – الشمس والقمر ولا ذكر للأرض – وجمع ضميرهما وهما اثنان باعتبار تعددهما بتعدد المطالع وحسن هذا الجمع مراعاة الفواصل في الآيات اللاتي قبلها ، وبعدها إذ كلهن منتهية بواو ونون ، وقال الله تبارك وتعالى : (والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار

وكل في فلك يسبحون) فقد أثبت للشمس جرياناً وهو الحركة الإنتقالية.أمّا الحركة الرحوية – أي المحورية على حدّ تعبير الفلكيين – فلا تسمى جرياناً في لغة العرب بل دوراناً ، والنص ناطق بالجريان . الخلاصة : يتضح من مجموع ما ذكرنا في هذا الفصل أن البرهان العلمي لا يساعد على القول بحركة الأرض بل هو معيّن لثباتها وأن الحركة للشمس والقمر وأن حمل بعض الآيات الشريفة على غير ما تدلّ مجموعة النصوص عليه مما هو بعد موضع أخذٍ وردّ عند الفلكيين أنفسهم فيه من الجرأة على القول في القرآن بغير علم ما لا يخفى ، وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . ولمّا سئل أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – عن معنى الأبّ في قول الله تبارك وتعالى : (وفاكهة وأبّا) لم يردّ وجعل يقول : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني أن قلت في كتاب الله برأيي ، وكذلك يجب أن يكون المسلم هياباً لله تعالى ، وقافاً عند حدوده سبحانه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . إنتهى كلام الشيخ العلاّمة محمد الحامد قلت ومما نقلناه لك أيها القارىء من الآيات القرآنية ، وكلام أئمة اللغة ، وعلماء التفسير ، وكثير من علماء الفلك يتضح لك صحة القول بثبوت الأرض وسكونها وعدم دورانها وأن هذا إجماع من علماء الإسلام ، وعلماء أهل الكتاب كما نصّ على ذلك الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسيره . وذكر العلاّمة عبد القاهر بن طاهر البغدادي – رحمه الله – في كتابه (الفرق بين الفرق) فيما نقلته لك سابقاً أنه إجماع أهل السنّة ، ويتضح لك أيضاً بطلان القول بدوران الأرض وأنه خلاف الأدلّة النقلية ، والحسية . ويتضح لك أيضاً أن طلوع الشمس وغروبها وتعاقب الله ، والنهار ، واختلاف الفصول كل ذلك بسبب جريان الشمس في منازلها ، ومداراتها التي نظمها الله سبحانه كما يشاء وليس ذلك بسبب دوران الأرض حول الشمس كما يدعيه بعض علماء الفلك بلا حجة ، ولا برهان يعتمد عليهما ، ويتضح لك أيضاً أن ما ادعاه بعض الكتّاب المتأخرين من إجماع علماء الهيئة على أن

للأرض دورتين إحداهما يومية . والثانية سنوية ليس بصحيح بل إن المسألة لا تزال مسألة خلاف . ونزاع بين علماء الهيئة أنفسهم لا مسألة إجماع ، ووفاق .

ثم لو سلّمنا وقوع إجماعهم فهم محجوجون بإجماع من قبلهم من علماء الإسلام . وعلماء الفلك على عدم دوران الأرض فقد عاش الناس قروناً طويلة على نظرية (بطليموس) وهي أن الأرض قارة ساكنة لا دائرة وهو قبل الميلاد حتى نبغ في القرن السادس عشر بعد الميلاد الفلكي البولوني الشهير (بوانكاريه) حسب ما ذكره العلاّمة محمد فريد وجدي فيما نقلته لك عنه قريباً فقال بدوران الأرض وأيّد نظرية (فيثاغورس) ثم هنا جواب آخر أسلفته لك وهو أن إجماع الفلكيين لو سلم وقوعه ليس بحجة إذا خالف الأدلة النقلية أو الحسّية فتنبه واحذر الغلط والله وليّ التوفيق .

ثم نعود إلى ما نقله الأخ الصوّاف عن الألوسي حول دوران الأرض فنقول أن الألوسي — رحمه الله — نقل في كتابه (ما دلّ عليه القرآن) صفحة ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ عن علماء الهيئة الجديدة أنهم قالوا بدوران الأرض وأن لها دورتين يومية ، وسنوية . ونقل عنهم القول بكرويتها ، وذكر أنه لا يعلم في الآيات ما يخالف قولهم ، وجوابنا عن ذلك أن نقول : قد سبق من الآيات ، وكلام العلماء ما يدلّ على بطلان قول علماء الهيئة الجديدة بدوران الأرض ، وأن العلاّمة الألوسي — رحمه الله — قد وقع فيما وقعوا فيه من الخطأ ، والغلط فراجع ما تقدم يتضح لك خطأ علماء الهيئة الجديدة ، وغلطّ العلاّمة الألوسي — رحمه الله — في هذه المسألة . ومن هذا يتضح لك أنه لا ينبغي الاعتماد على ما قاله الألوسي — رحمه الله — في كتابه (ما دلّ عليه القرآن) في مسائل الأرض . والأفلاك حتى يعرض على الأدلّة العلمية فما وافقها قبل وما خالفها ردّ ، وما لم يتضح من الأدلّة العلمية قبوله أو ردّه فإنه يكون موقوفاً كما سبق لك هذا المعنى غير مرّة ،

والعلاّمة الألوسي — رحمه الله — كسائر أهل العلم يؤخذ من قوله ما وافق الحق ، ويترك من قوله ما خالفه ، وليس أحد من العلماء معصوماً من الخطأ لا الألوسي ، ولا غيره كما لا يخفى على من له أدنى إلمام بأقوال أهل العلم ، أمّا مسألة كروية الأرض فقد ذكر أبو العباس ابن تيمية — رحمه الله — عن أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي أنه حكى إجماع علماء الإسلام على كروية الأرض ، وسبق فيما نقلته عن العلاّمة ابن القيّم — رحمه الله — ما يدلّ على ذلك ، وكونها كروية لا ينافي تسطيح وجهها المسكون للعالم وجعلها فراشاً ، ومهاداً كما قال عزّ وجلّ (الذي جعل لكم الأرض فراشاً) وقال تعالى : (ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا) وقال عزّ وجلّ : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) فهي كروية الشكل مسطوحة الوجه البارز للعالم ليتم قرارهم عليها وانتفاعهم بما فيها . ولا نعلم في الأدلّة النقلية ، والحسيّة ما يخالف ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

أسئلة الأخ الصوّاف ، والجواب عنها :

قد ذكرت في المقال السابق من الأدلّة الحسيّة على عدم دوران الأرض ما نصّه : إن هذا القول الباطل — أعني القول بدوران الأرض ، وثبوت الشمس — كما أنه مخالف للنصوص فهو مخالف للمشاهد المحسوس ، ومكابرة للمعقول ، والواقع . فلم يزل الناس مسلمهم ، وكافرهم يشاهدون الشمس جارية طالعة ، وغاربة ، ويشاهدون الأرض قارة ثابتة . ويشاهدون كل بلد ، وكل جبل في جهته لم يتغير من ذلك شيء ، ولو كانت الأرض تدور كما يزعمون لكانت البلدان ، والجبال والأشجار والأنهار ، والبحار لا قرار لها ، ولشاهد الناس البلدان المغربية في المشرق ، والمشرقية في المغرب ، ولتغيرت القبلة على الناس حتى لا يقر لها قرار . إنتهى ما ذكرته في المقال

السابق عن هذا الدليل الحسيّ المشاهد ، وذكرت في مقالي السابق أيضاً أن بعض القائلين بدوران الأرض قد شبّه بقوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) وأوضحت أن هذا الإحتجاج باطل ، وأن تعلقهم بهذه الآية فاسد وشبهة زائفة لأن الآية المقصود منها الخبر عن يوم القيامة كما يفهم من سياقها ومن غيرها من الآيات ، وليس المقصود منها الإخبار عن دوران الأرض ، وسير الجبال حين نزول الآية ، كما يعلم ذلك كل من تأمل سياق الآية من أهل العلم ، وقرأ ما قبلها ، وما بعدها ، وكما قد نصّ على ذلك علماء التفسير عند الكلام على هذه الآية وقد اعترض الأخ الصوّاف على ما ذكرته من الدليل الحسّي على استقرار الأرض وسكونها بأنه لا يلزم من دوران الأرض تغير البلدان ، والجبال والأشجار والأنهار والبحار والقبلة وأورد على ذلك أسئلة هذا نصها :

أولا : لا شكّ أن فضيلتكم قد ركب أكثر من مرّة طائرة البيونج السعودية الفخمة ، ولهذه الطائرة الكبيرة مقاعد عن اليمين ، ومقاعد عن الشمال فهل إذا ركب الراكب من اليمين ثم طارت الطائرة وتحولت شمالاً ، وجنوباً فهل يتحول ويقفز مقعد اليمين إلى الشمال ، والشمال إلى اليمين ، وكلما انتقلت إلى جهة انتقلت معها المقاعد أم هي ثابتة قارة في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول ، ولو تحركت الطائرة مئة حركة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ؟ .

ثانياً : ونحن يا أخي أناس خلقنا الربّ سبحانه وتعالى في أحسن تقويم ، ولكل واحد منا يد في اليمين ، وأخرى في الشمال وأحدنا يتجه في اليوم مئة اتجاه يميناً وشمالا وشرقاً وغرباً وهو يجري ويسير فهل إذا انتقلنا تحولت أيدي اليمين إلى الشمال ، والعكس بالعكس ؟ أم أن اليمين يبقى في محلّه ، وكذا الشمال ، ولو تحركنا في اليوم ألف حركة .

ثالثاً : راكب الباخرة إذا أخذ مكانه في غرفته فيها ثم سارت به وأخذت تشق عباب البحر يميناً ، وشمالا فهل تتحرك غرفته كلما تحولت الباخرة أم تبقى قارة ثابتة . ويبقى هو فيها ساكناً مطمئناً لا يحسّ غالباً حتى بحركة الباخرة ، كما لا يحسّ راكب الطائرة أنها تطير . وفي الواقع أنها تقطع المسافات الشاسعة ، وتنهب الجو نهباً ، هذه ثلاثة أمثلة أو هي ثلاثة أسئلة تبيّن لنا أن الأرض كذلك إذا تحركت بقدرة الله في حركتها اليومية أو السنوية فإنما يتحرك معها كل شيء فيها ، وكل شيء يبقى في محلّه فلا جبل أحد يكون في محلّ أبي قبيس ، ولا أبو قبيس يكون محلّ قيسون ، ولا قيسون في محلّ جبال الألب أو جبال الأطلس ، وكذا الشأن في البلدان ، والأشجار والأنهار والبحار ، والقبلة لا تتغير على الناس لأن كل شيء في محلّه إذ الحركة كلها جماعية للأرض . ولما على الأرض ولمن على الأرض سواء بسواء . إنتهى كلامه ، والجواب عن هذا أن يقال : هذه الأسئلة الثلاثة كلها حجة عليكم أيها الأخ الصوّاف ، وعلى كل من يقول بدوران الأرض ، ودليل ظاهر على صحة ما قاله من أنكر دوران الأرض ، وقرر أنها ساكنة قارة وبيان ذلك أني قد ذكرت في مقالي السابق ما نصه : فلم يزل الناس مسلمهم ، وكافرهم يشاهدون الشمس جارية طالعة ، وغاربة ، ويشاهدون الأرض قارة ثابتة ، ويشاهدون كل بلد . وكل جبل في جهته لم يتغير عن ذلك شيء .. الخ ما ذكرته لك أيها القارىء قريباً ، ويتضح من هذا أن المقصود من هذا الدليل الحسي هو بيان أن جميع جهات الأرض في محلها بالنسبة إلى المشرق ، والمغرب والجنوب والشمال ، والكعبة ، ولهذا قلت فيما سبق في جهتها ولم أقل في موضعها ليتضح للقارىء أن المقصود الجهة لا المكان ، ويعلم من ذلك أيضاً أنه ليس مقصودي من الكلام السابق أن الكعبة تنتقل من محلها ، ولا أن البلاد المشرقية تنتقل بنفسها إلى المغرب ، ولا العكس ، وهكذا الجبال والبحار والأنهار ، وإنما المقصود من الكلام السابق الذي نقلته عن مقالي الأول وهو أن دوران الأرض يقتضي تغير

الجهات بالنسبة إلى البلدان . والقارات . وغيرها وذلك أمر واضح لكل من تأمل المقام حق التأمل فإنه لو كانت الأرض تدور كما يزعمون لكانت البلدان التي في المشرق ليس لها قرار في المشرق بل هي دائرة بدوران الأرض ، وتابعة لها فلحظة المشرق . ولحظة في الجنوب . ولحظة في المغرب . ولحظة في الشمال وهكذا البلدان المغربية وغيرها كالسفينة في البحر . والطائرة في الجو ، وبذلك تكون جهتهم إلى القبلة لا قرار لها فإن أهل المشرق بالنسبة إلى الكعبة قبلتهم المغرب . وسكان المغرب بالعكس . وسكان الشمال قبلتهم الجنوب . وسكان الجنوب بالعكس . فلو كانت الأرض تدور لكانت جهة الكعبة لا قرار لها بالنسبة إلى جميع سكان الأرض ومع ذلك فكل شيء في محلّه. البلدان في مواضعها . والبحار في مواضعها والجبال في مواضعها ، والكعبة في محلّها ، وهذه الأمثلة التي ذكرها الأخ الصوّاف تشهد لما ذكرناه بالصحة ، وتدلّ على سكون الأرض ، وعدم دورانها لأن الطائرة إذا قامت مثلاً من جدة إلى الرياض فركابها قبلتهم خلفهم . ووجوههم إلى المشرق ، وإذا قامت من الرياض إلى جدة صارت وجوه الركاب إلى جهة المغرب ، وصارت الكعبة أمامهم ، والمقاعد في محلّها ، والركاب في محلهم لم يتغير شيء عن موضعه . وهكذا الباخرة ، والقطار ، ونحوهما ، وهكذا الإنسان فإنه إذا توجه إلى المغرب صارت يمينه إلى جهة الشمال ، ويساره إلى جهة الجنوب فإذا غيّر السير وانحرف إلى جهة المشرق صارت يمينه إلى جهة الجنوب ، ويساره إلى جهة الشمال ، وصار وجهه إلى المشرق بعد أن كان إلى المغرب ، ويداه في مكانهما ، ووجهه في مكانه ، ومن هذا يتضح لك أيها القارىء بطلان القول بدوران الأرض . وصحة القول بسكونها واستقرارها لأن اللوازم الباطلة تدلّ على بطلان ملزومها ، ومن الدلائل الحسيّة على بطلان القول بدوران الأرض أنها لو كانت تدور لأحسّ الناس بدورانها كما يحسّ الناس بحركة الباخرة ، والطائرة ، وغيرهما من المركوبات الضخمة . ولا يلزم من التفاوت الذي بين الأرض ، وبين المركوبات المشار

إليها عدم الإحساس بدوران الأرض ولو في بعض الأوقات ، ومما يؤيد ذلك أن الأرض إذا عرض لها هزّة يسيرة ترتب على ذلك من الخراب والدمار الشيء العظيم ، ويتفاوت ذلك بحسب شدّة الهزّة وطول بقائها ، وعدم ذلك وهذا شيء معلوم لا يخفى على أحد ، وقد نبّه عليه العلاّمة ابن القيّم ، والإمام القرطبي فيما نقلته عنهما سابقاً ، وأمّا قولي في مقالي السابق في سياق الردّ على من احتجّ على دوران الأرض بقوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب) الآية ما نصّه : ثم هذا القول مخالف للواقع المشاهد المحسوس فالناس يشاهدون الجبال في محلّها لم تسير فهذا جبل النور في مكة في محلّه ، وهذا جبل أبي قبيس في محلّه وهذا أحد في المدينة في محلّه .. الخ ، فهذا أردت به الردّ على من احتجّ بالآية المذكورة على دوران الأرض لأن الله سبحانه ذكر فيها أن الجبال تمرّ مرّ السحاب ، وبينت أن الجبال لم تسير بل هي باقية في محلها ، فلو كان الله سبحانه أراد بالآية الخبر عن حال الجبال حين التنزيل لوقع مخبره ولشاهد الناس مرور الجبال كما يشاهدون مرور السحاب ، فلمّا لم يقع شيء من ذلك فلم تسير الجبال ، ولم يشاهد الناس مرورها مرّ السحاب علم أن الله سبحانه لم يرد بالآية الخبر عن حال الجبال حين التنزيل وإنما أراد الخبر عنها حين قيام الساعة وهذا واضح لمن تأمل الآية ◆ والواقع ثم القول بدوران الأرض حول الشمس ، وجريان الشمس حول نفسها مع كونه مخالفاً للأدلّة السمعية ، والحسيّة فهو في نفس الوقت يفضي إلى تشكيك العقلاء في حواسهم ، والاستفادة منها ، ويفضي إلى إنكار الضروريات بأدنى شبهة ، ويفضي إلى تكذيب الرسل ، وعدم الثقة بأخبارهم ويفضي إلى مفاسد كثيرة ، ونسأل الله سبحانه أن يوفقنا وسائر المسلمين للفقه في دينه ، والثبات عليه ، والحذر مما خالفه وأن يهبنا جميعاً البصر الناقد عند ورود الشبهات ، والعقل الراجح عند ورود الشهوات وأن يصلح علماء المسلمين وقادتهم ويعينهم على أداء الواجب إنه على كل شيء قدير ، وهذا آخر ما أردنا إملاءه على تعقيب الأخ الصوّاف على مقالي

السابق (الشمس جارية ، والأرض ثابتة) وقد وعدت القراء في صدر هذا الجواب أن أختم المقال بخلاصة ما سبق فأقول :

الخلاصة لجميع ما تقدم :

١) إن الذي قامت عليه الأدلة النقلية ، والحسية هو أن الشمس جارية في فلكها ومنازلها ومشارقها ، ومغاربها جرياً مطلقاً مختلفاً بحسب المنازل ، والفصول منظماً تنظيماً دقيقاً عظيماً متقناً لا تتجاوزه ولا تعدوه ، أمّا القول بأنها ثابتة لا جارية فهو كفر وضلال . وقول باطل مخالف للأدلة النقلية ، والحسية لا يجوز للمسلم اعتقاده كما أوضحت ذلك في الكلام السابق لأن الله سبحانه وصف الشمس في آيات كثيرة من كتابه العزيز بأنها جارية ولم يصفها قطّ بأنها ثابتة، وهكذا رسوله ﷺ. فوصفها بالثبوت تكذيب لله سبحانه ، ولرسوله ﷺ ثم ذلك خلاف المشاهد كما هوخلاف النص .

٢) إن القول بأن الشمس ثابتة وجارية حول نفسها في آن واحد كما يقوله الكثير من علماء الهيئة قول باطل مخالف للأدلة السمعية ، والحسية ، ومما يبيّن بطلان ذلك إخبار الله سبحانه وتعالى بأن للشمس مطلعاً ومغرباً ومشارق ومغارب ، وما يشاهده العباد من سيرها من المشرق إلى المغرب ، ومن المغرب إلى المشرق سيراً مختلفاً حتى يعمّ نفعها ، ونورها لجميع سكان الأرض كما سبق التنبيه على هذا وتفصيله في صدر هذا الجواب ، وهذه المسألة لم أتعرضها في مقالي السابق بنفي ولا إثبات ولم أكفّر من قال ذلك فمن نسب عن مقالي السابق أني أكفّر من قال بهذا القول فقد غلط مع أني لا أشكّ أن هذا القول باطل مخالف للأدلة السمعية ، والحسيّة وأنه لا يجوز للمسلم أن يقول إن الشمس ثابتة بوجه من الوجوه لأن ذلك يصادم نصوص القرآن الكريم ، ونصوص السنّة ، وشواهد العيان وما كفر صاحبه ببعيد ، والله المستعان .

٣) أوضحت فيما تقدم أن القول بدوران الأرض اليومي ، والسنوي كله باطل ، وذكرت من الأدلة النقلية والحسيّة وكلام أهل العلم من المفسرين ، وغيرهم من علماء الإسلام ، وعلماء الفلك ما يدلّ على سكون الأرض واستقرارها . وعدم دورانها وأن الشمس هي التي تجري حولها كما نظمها الله عزّ وجلّ لمصالح العباد . ومنافعهم ونقلت عن الإمام القرطبي أنه حكى في تفسيره عند قوله تعالى في سورة الرعد: (وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا) إن القول بسكون الأرض هو قول المسلمين . وأهل الكتاب وذكرت أن هذا معناه حكاية الإجماع ، ونقلت عن العلاّمة عبد القاهر بن طاهر البغدادي أنه حكى ذلك إجماع أهل السنّة في كتابه (الفرق بين الفرق) وبينت أني لم أكفّر في المقال السابق من قال بدوران الأرض بل قلت أن في كفره نظراً ، وإليك نصّ عبارتي في المقال السابق : وأمّا من قال إن الأرض تدور ، والشمس جارية فقوله أسهل من قول من قال بثبوت الشمس فقد أوضح الله في الآيات المذكورات آنفاً أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد بهم ، والميد هو الحركة والإضطراب ، والدوران كما نصّ على ذلك علماء التفسير ، وأئمة اللغة ، وفي تكفير قائله نظر.. الخ . إنتهى المقصود . فهذه العبارة صريحة في توقفي عن تكفير من قال بدوران الأرض للسبب الذي أوضحته في المقال السابق . والله وليّ الهداية .

٤) بيّنت فيما تقدم أن ما نقله بعض الكتّاب من إجماع علماء الهيئة على دوران الأرض لا صحة له بل المسألة لا تزال بينهم محلّ نزاع واختلاف لا محلّ إتفاق كما يعلم ذلك من النقول السابقة عن بعض علماء الهيئة ،

وبيّنت أنّا لو فرضنا صحة إجماعهم لكانوا محجوجين بإجماع من قبلهم من علماء المسلمين ، وعلماء الفلك ، وبيّنا أيضاً أن إجماعهم – لو سلم وقوعه – ليس بحجة لأن فيهم الكافر والمسلم والثقة وغيره ولأن كثيراً منهم يعتبر الأمور الظنية قضايا مسلّمة ، ومسائل يقينية كما أسلفت لك بيان ذلك فيما نقلته عن كتاب العلاّمة محمد فريد وجدي (الإسلام في عصر العلم) وإنما الإجماع المعتبر هو إجماع علماء الإسلام الذين توافرت فيهم أدوات الإجتهاد، وعرفوا بالدين والإستقامة فاحفظ هذه الأصول فإنها مهمّة جداً .

٥) ذكرت فيما سبق أن ما يقوله علماء الفلك ، وبعبارة أخرى علماء الهيئة عن شؤون الأجرام السماوية ، وضخامتها والأبعاد التي بينها ، وغير ذلك ، وما يقولونه عن شؤون الأرض كل ذلك يجب أن يقسّم إلى ثلاثة أقسام : قسم تشهد له الأدلّة العلمية بالصحة فهو مقبول ، وقسم تشهد الأدلّة العلمية ببطلانه فهو مردود ، والقسم الثالث لا يوجد في الأدلّة العلمية ما يدلّ على قبوله أو ردّه فيكون موقوفاً حتى يجد الناظر في ذلك من أهل العلم من الأدلّة ما يرشده إلى قبوله أو ردّه ، أمّا قبولها مطلقاً من غير فحص ولا نظر بل بمجرد التقليد لهم فأمر لا يجوز لما يترتب عليه من الأخطاء الكثيرة ، والقول على الله ، وعلى خلقه بغير علم في مسائل كثيرة مما يقولون ، وأوضحت أن قول بعض الكتّاب أنه يجب أن لا يلتفت إلى قول علماء الإسلام السابقين ، واللاحقين في أمور الفلك بل يجب عنده أن يكون علماء الإسلام كالتلاميذ لعلماء الهيئة في شؤون الفلك أوضحت أن هذا قول باطل لا يجوز اعتقاده ، ولا القول به بل يجب أن تقسّم أقوالهم إلى الأقسام الثلاثة السابقة .

والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ، والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات

وأسأله عزّ وجلّ أن يهدينا ، وجميع المسلمين لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه سيدنا وإمامنا محمد بن عبد الله الذي أتم الله به النعمة ، وأكمل به الدين ورحم به الأمة ولم يقبضه حتى بلّغ البلاغ المبين ، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز